فرناندو بيسوا

راعي القطيع

والقصائد الأخرى





ألبرطو كاييرو

ترجمة وتقديم

المهدي أخريف

منشورات



وزارة الثقافة

فرناندو بيسوا

راعي القطيع

والقصائد الأخرى

ترجمة وتقديم

المهدي أخريف

إخراج : أحمد جاريد
تنفيذ الإخراج : إدريس برادة
الإيداع القانوني : 2004/158
ردمك : 8-55-822-9981
سحب : مطبعة دارالمناهل، 2004

المهدي أخريف

مقدمة المترجم

ـ 1 ـ

ألبرطو كاييرو دَاسِيلبَا، أسْبَقَ أنْدَادِ **پيسوا** إلَى الوجود، انبثق دفْعةً واحدة بديوانه "راعي القطيع" يوم 8 مارس 1994. وهو على قصر الحياة التي عاش (27 سنة)، مُعلِّمُ الأنْداد جميعاً، شعراء ونَاثرين، وصديق بعضهم ، وهو الذي وَصَفته **ماريا تيرايزا لوبيز** الباحثة البرتغالية المختصة بكونه «المعلّم الّذي وضعه پيسوا في مواجهة ذاته نفسها لِيتعلّم كيف يعيش بدُون ألم، ويشيخ بلا ضجر، ويموت بلافَزَع» وإليه أيضاً كَانَ يلجأ پيسوا كَيْ يلتمس العلاج من «بليّة التفكير، من التفكير بلا انقطاع». لذلك اخْتَرتُ، إسوةً بِبعْض مُخرجي مختارات پيسوا الشعرية إلى النشر، أنْ أفتتح بكتاب كاييرو الشعري، مَشْرُوع المختارات الشعرية الواسعة لپيسوا التي أزمع نشرها مُترجمة إلى العربية، على أن تَتْلُوه تباعاً أعمال باقي الأنداد الكبار : رَيكارْدُو **رييس ألبارو دي كامپوس**، وأخيراً **فرناندو پيسوا**. كَلٌّ مِنْهَا في كِتَاب مُسْتقل بما يَكوِّن أرْبعة أجزاء مُتفاوتة حَجْماً ، مُتناغمة شَكْلاً وَنْظماً.

ماهو متوفّر من معلومات عَن حياةِ المعلّم كاييرو قليل جداً بالكاد يُغطّي نِصْفَ صفحة. لأنّ كَلّ حياته تَقريباً هي تِلْكَ الّتي كانت تجري "وقائعها" فِي شِعْرِه.

وَلد في لشبونه يوم 16 أبريل من عام 1889. وتوفّي مَسْلولاً عام 1915 في لشبونة ذاتها التي عَاد إِلَيْها في الشهور الأخيرة من حَيّاته..حَياته التي أمْضى مُعْظَمها فِي ضيعةِ صغيرة واقعة عَلَى ضفّة المجرى السّفْلي" لنهر التّاج (**ريباتيخو**). قرب العاصمة. وبفضل إيراداتِ مُتواضعة مَوْروثة. تمكّن من التفرّغ في عزْلةِ كاملة وبدون مزاولة أيّ مِهْنة. لتأمّل الطبيعة مَهْووساً. عَبْر نَثر أبْياتِ مُتفرّدة بإماطةِ اللّثام عَنْ "بساطة" و"طبيعية" كلّ تِلْك الأشياء التي "يَرَاهَا الإنسان وَلاَيَرَاها" . معتبراً نفْسه شاعِرِ إحْسَاسِ مُبَاشرِ بالأشياء. لايَتْرَك للتفكير أو العاطفة أيَّ إمكانية للتشويش عَلَى مهمّة "الرائي" الموضوعي المحايد للطبيعة عدّته الوحيدة النّظر مَدْعوماً بِخدمات الحَواسّ الأربع الأخرى.

اختار كاييرو عن مزاج، عن زهد تقريباً فطري، أن ينأى بنفسه عن أيّ احتكاك بالآخرين أو بالأحداث اليومية مِنْ حوله. ماكان لأحد أنْ يعلم كيف كان يمضي أيامه على ذلك التلّ القريب والبعيد جداً في الآن نفسه عنْ صخب العاصمة. لولا تلك السطور(1) الثلاثة والعشرون المشوّشة الخط التي عثرعَليْها في الصندوق البيسوي العجيب منذ خمس سنوات، ضمنَ ورقة من بيْن 28 ألف ورقة تكوّن مجموع الأثر البيسوي بفضل تلك الأسطر نعلم أنّ **كاييرو** كان يمضي صباحاته، حتى الضحى في الغالب، جنب نافذته المطلّة على **ريباتيخو**، متأمّلاً. بينما يفضل تمضية سويْعات ما بعد الظهيرة متجولاً على جنبات المنحدر المؤدّي إلى غابة **روسادوس**. بعْد أنْ يكون تعهد بنفسه نباتات الطبيعة وأشجارها.. ويبْدو أنّ أسلوب معيشة المعلّم، ومشيته وإيماءاته «غيرالطبيعية» في محاورة كائنات الطبيعة الصامتة من حوْله، كانت ممّا يستثير فضول القاطنة المجاورين. بل كانت مثار تعاليق قسّيس كنيسة القرية العجوز (قرية **دوسْ ألموس**) الذي اعتاد في قدّاس الآحاد، اتخاذه مثلاً "سيئاً" لايجب أن يحتذى من أيّ مسيحيَ طيّب عاقل. غيْر أنّ الجديد الحقيقي الذي حملته تلكَ الأسْطر الكاشفة يتمثل في أنْ **كاييرو** كانَ يخصص أوْقاتاً معْلومة في الصباح - وفي المساء أحياناً - للقراءة الصامتة. وللقراءة الجهرية لقصائد رعوية وغير رعوية، ونصوص - وصفها بيسوا بالغنوصية الغامضة. وهذا ما يَدحض بكيفية قاطعة مزاعم أنداده : **رييس، كامبوس، بيسوا**، نفسه، **أنطونيو مورا، وباشيكو**، ممّنْ عدّوه شاعراً طبيعياً، نافين أن يكون تلقّى أيّ تعليم ثانوي أو عالٍ. إلى حدّ أن **رييس** اعتبره شاعراً أميّا وحتى دونَ الأمّي. فيما رأى بيسوا أنّه «يكتب البرتغالية بطريقة رديئة». غير أن **أرنالدو سرابيا وإدواردو لورنسو** وباحثين آخرين يؤكدون اطلاعه على الشعراء الرعويين وعلى فرجيل وعدد من الفلاسفة والشعراء الحدثين مثل ويتمان وثيساريو بيردي، بل وحتّى على نصوص لبوذيّة الزن..

---

(1) نشرت أولا في مجلة ESTAÇÕES البرتغالية عدد 41، عام 1998، وقد اطلعت عليها مترجمة إلى الإسبانية في "CASUALIDADES" البرشلونية، عدد 103/2، ماي 2003.

الواقع أنّ قراءة متأنية لشعر كاييرو، أو نثره الشعري بالأحرى، تَسمَح باستشفاف الجهد غير العادي الذي يَبْذُله كي يتخلّص من كلّ تَأمّل معرفي أو ثقافي للطبيعة، بَغَرضِ الوصول إلى وَضْع التَّأمل "الخالص"، التأمل بالنَّظر وحده.

علاقة **كاييرو** بباقي الأنداد. كانت على العموم، علاقة معلم بمريدين. وإن اختلفت درجاتها وظروفها من ندّ إلى آخر. ولا شك أن ريكاردو **ريس** كانَ أقربهم إلى المعلم وأكثرهم ملازمة له وتأثيراً عليه إلى حدّ أنه دفعه. غيرما مرة. إلى التنازل عن صرامة عاداته وهو الرجل النباتي الزاهد في ملذات الحسّ ـ ومشاركته احتساء النبيذ الأبيض المعتّق المجلوب من الضواحي. ولولا مكانة **ريس** الأثيرة هذه لما عهد إليه من قبل ورثة المعلم بتنفيذ وصيته. ألبارودي **كامپوس** بدوره لم يكن يخفي كغيره من الأنداد إعجابه الشديد بكاييرو، حتّى بعد انقطاع الاتصال الشخصي المباشر بينهما عام 1914 إثر انتقال كامپوس إلى إنجلترا لاستكمال الدراسة ثم للاستقرار مدة طويلة بها حيث لم يعد إلى لشبونه إلاّ عام 1934. أي بعد وفاة كاييرو بما يناهز العشرين عاماً. أما فرناندو **پسوا** فالثابت أنه مع اعترافه بفضل "الشيخ" إذ قال عنه " إنه معلمي الذي ولد بداخلي" لم يعرفه معرفة شخصية. وعندما كانَ كاييرو على سرير الاحتضار غير بعيد عنه في لشبونة التي عاد إليها في الأشهر الثلاثة الأخيرة من حياته لم يهتم حتّى بمجرد القيام بالواجب الضروري للمريد بالوقوف بجانب المعلم لحظة رحيله. لاسيما أنّ **ريس** كان قدْ عادَ لأسباب سياسية إلى البرازيل، وكامپوس [1] كانَ موجوداً في إنجلترا. وهو ما طبع نهاية الشاعر الموضوعي الأكبر بقسوة ومرارة مضاعفتين.

---

(1) سيقول كامپوس معلقا على لامبالاة پيسوا تلك : «لقد كان يعيش كما لو لم يكن موجوداً يحس بالأشياء، بدون أن يتحرك . ولا حتى من الداخل».

يتكوّن العمل الشعري لألبرطو كاييرو من «راعي القطيع»، الراعي العاشق». ومن قصيدتين قصيرتين. جميعها مؤرخة بـ 1911 و 1912 وإن كانت مكتوبة . في الواقع ، مابين 1914و 1915. بالإضافة إلى قصائد عديدة أخرى جمعها ريكاردو **ريس** باعتباره مَنفّذ وصية الشاعر تحت عنوان «**قصائد غير متجانسة**» بعضها مؤرّخ بعد 1915 سنة وفاة الشاعر، وهو ما فاجأ ـ لاأدري لما ذا؟ ـ الكثير من النّقاد.

ظل كاييرو شاعراً مجهولاً في حياته. بعد وفاته بسنوات بدأ التعرّف عليه بالتدريج من لدن أقلّية من مثقفي. **لشبونة، أبرطو، كوينبرة**. ممن اهتمّوا أيْضاً برييس، كامپوس، وپيسوا في منتصف عشرينات القرن العشرين. من خلال مجلّة Athena (بإدارة كلّ من پسوا وروي باث)،ثم في أوائل ثلاثينات نفْس القرن في مجلة Presença. وابتداءاً من 1942 (بعد سبع سنوات على وفاة پسوا) أصدر أدولفو كاسايس مونتيرو. (القادم بدوره من مجلة Presença). مجموعةً من قصائد «راعي القطيع» و «قصائد غير متجانسة» ضمن مختارات شعرية لفرناندو پيسوا في دار Confluència للنشر هي الأولى من نوعها في تاريخ نشر الإنتاج الأدبي اليسوي. وقد نفدت الطبعة الأولى في مدّة وجيزة. ممّا عدَّ عَلاَمة عَلى بدَايةِ التّكريس الجماهيري للشاعر وأنْداده. بَعْد أرْبع سَنَواتٍ. أي عام 1946 قدَّم **جواو غاسپار سيمويس ولويس دي مُونطالبور**. بَعْد مجهودات تنقيبية ترتيبية مدقّقة. إلى المطبعة. عَمَل كاييرو الشعري الكامل[1] في الجزء الرابع في الأعمال الكاملة لفرناندو پسوا المنشورة في دَار أتيكا للنشر بلشبونة.

---

(1) مازال عمله الشعري لم يكتمل بعد. إذ بعد سنوات طويلة على ظهور أعماله "الكامنة" كشف النقاب. بفضل مجهود تنقيبي من ماريا تيريزا لوبيز عن بعض النصوص النثرية لكاييرو لم تكن معروفة من قبل وهو مافتح الباب أمام احتمال وجود نصوص أخرى شعرية ونثرية بحاجة ربما إلى من ينجح في اكتشافها وإظهارها للوجود.

في عام 1998 وعن منشورات المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة. كنت قدْ نشرت، ضمن مختارات شعرية لپسوا منْ ترجمتي الشخصية، بعض المقاطع من "راعي القطيع" ومن "قصائد غير متجانسة" أعترف اليوم أنّ اجتزائي إيّاها من مواقعها في سياقاتها الأصلية لَم يَكنْ مبرّرًا تماماً ولا مُقنعاً. وقد كنت اعْتَمدتُ بصورة أساسية على التّرجمة الإسبانية لخوصي أنطونيو جارديتت؛ لكن بَعْد اطلاعي على ترجمة أنخيل كريسپو (1) أوّلاً لمختارات شعرية واسعة للشاعر البرتغالي، ثمّ عَلَى ترجمة كامپوس پامپانو (2) لأكبر مختارات شعرية لپسوا ظهرت في الإسبانية حتّى اليوم من خلال طبعة مزدوجة يجاورُ فيها الأصل البرتغالي نظيرهَ الإسباني المترجم؛ بعد ذلك وجدت من الضروريّ أنْ أدْخل بَعْضَ التعديلات والتدقيقات اللازمة على ما كُنْتُ ترجمته منْ شعر كاييرو سواءٌ ممّا نشرته أوْممّا لمْ أنْشرهُ بَعْد، علْماً أنْ ترجمتي الأولى لأشْعاره تعودُ إلى عام 1988.

بَيْدَ أنّ الأعْمال التنقيحيّة الجزئية والمحدودة لم تَلْبَث أن قادتني إلى ترجمة بقيّة القصائد المكوّنة للعمل الشعري "الكامل" لكاييرو. ترجمة أحْسَبني توخّيْت فيها أقصى مَا بوسعي منْ دقّةِ تُمثّلِ للأصل. وهذه الترجمة هي هذه بالذات التي يسرّني أنْ تَصْدُر اليوم ضمن منشورات وزارة الثقافة المغربية، مع مقدمة، بل دراسة بالأحرى، لريكاردو رييس لمَ أجدْ، من بين عَشرَاتِ الدراسات، أنسب منْها مَدْخَلاً لِفهْمِ الأثر الشعري لكاييرو جوهراً وشكلاً.

---

(1) منشورات أوسترال، 1995.

(2) دائرة القراء، برشلونة 2001، تحت عنوان: قلب لا أحد.

مقدمة ريكاردو ريس

ألْبِرْطو كاييرو دَاسيلْبَا ولِدَ في لشبونة (....)[1] من أبريل عام 1988. وفيها توفّي مَسْلولاً. يوم (...) من (....) عام 1915 أمْضى حيَاته. تقريباً بكاملها في منزلِ قروي في **ريباتيخو** (؟) ؛ لمْ يعش في مسقط رأسِهِ سِوى سَنَتيه الأولَيَيْن ثم بضعة شهور من آخر حياته. في ذلك المنزل القرويّ المَعْزول. كَتَب كاييرو تقريباً جميع قَصائِدِهِ الأولى. التي أسماها «**راعي القطيع**» وَهي مكتملة كَديوان. و«**الراعي العَاشق**». وَهي قصيدةٌ غَيْرَ مكتملةٍ. ثمَّ هُنَاك بَعْض القصائد الأولى التي جمعتها بِنَفْسي. باعتبارها تَركةَ خُصِصْتُ بها لنشرها مع بَاقي القصائد تحت إسم **قصائد غير متجانسة**. من اقْتراح ألْبَارو دي كامپوس. آخر هذه القصائد من نِتَاج الفترة الأخيرةِ من حَياةِ الشاعر. عندما عَادَ إلَى لشبونة منْ جديد.

أعتقد أنّ من وَاجبي أنْ أثْبت هَذَاَ التمييز. لأنّ بعضاَ مِنْ قصائده الأخيرة يَظْهر، بسبب الاختلال الناجم عَن المرض. شيئاَ جديداً وغريباً نسبيّاَ فيما يتعلّق بالسّمة العامّة للعمل. سَوَاءٌ منْ حيث طَبيعَته أوْ منْ حَيْث توجّهه.

لايوجَدُ في حَيَاةِ كَاييرو مَايمكن أنْ يحْكَى. قَصَائِدُهُ هي حَيَاته. خَارجها لَيْس ثَمّة أحْداثٌ ولاتَاريخٌ. الحادِث الصّدفويّ. اللامجدي والعبثيّ الذي أنْجبَ القصيدتين الأوليين من «**الراعي العاشق**». لَمْ يَكُنْ حَادثاَ كان نسْياناَ بالأحْرى.

---

(1) جميع النقط الدالة على حذف في هذه المقدمة سواء وردت بين قوسين أو بدونهما هي مما حفل به الأصل

يمثّل عَمَل كَايّيرو الشعري إعادة بِناءِ كاملة للوثنية في جَوْهَرِها المطْلَق. عَلَى نَحْوٍ لَمْ يستطعْه. لاَ الإغريق ولا الرومان. الذين عَاشوا فيها وَلِذَلك لَمْ يَنْشغلوا بالتَّفكير فيها.

لكن عَمَل كاييرو بِما حَوَاه مِنْ وثنيَةٍ لَمْ يَكُنْ نتاجَ تفكيرٍ. وَلاحتَّى إحْساس : كان معايشةَ باطنيّة بأعمقِ ما فينا مِمّا يَجاوزُ الإحْساسَ والمنطق. ومِمَّا لايَحْتاجُ إلَى تَفْسير لنْ يفيدَ في شيءٍ. عَمَل كاييرو بكامله يتكلَّم عَنْ نَفْسِه. بالصَّوتِ الذي هوَ صَوْتُه. وفي اللّغة التي يتشكَّل بها الذّهن. إذ لَيْس بِمسْتطَاعٍ مَنْ لايَفْهَم أنْ يَفْهَم. وَمنْ ثَمَّ لاحاجة إلى التفسير. وإلا كنّا كَمَنْ يَحَاوِلُ . بتمطيط الكلماتِ. حَمْل شَخْصٍ عَلَى فهْم لغة لايتكلّمها.

لقَد صَنَعَ كاييرو وَهو الجاهِلَ بالحياة وبالأدبِ أو يكاد. وبدون ثَقافةٍ ولامُعايَشَةٍ للغَيْر، أثرَه بِوَاسِطَةِ تَقدُّم مَحْسُوس وَعَميق، كَمَنْ يَقود. بواسطة الوَعْي اللاّواعي للبشَر. التطوّر المنطقيَّ لِلْحضارات. لقد كان تقدُّما في الأحاسيس. أو بعبارة أفْضل. في طَرَقِ امتلاكها. تطوّراً بَاطنِيّاً في أفْكارٍ مُشْتَقَّةٍ مِنْ نَفْسِ الأحساسيس التقدّمية.

بوَاسطةِ حَدْسٍ فوق إنساني. من تِلْك الحدَوس الّتي أسّستِ الدّيانات دَائماً. اكْتشَف كَاييرو العالَم بِدونِ تفكير فيه. وَبدون أنْ يكونَ مرْتَاحاَ لاقْترانِ الحدْسِ بالدّين. فكَما أنّه رَفضَ الشَّمْسَ والمطر كَذَلِكَ رَفَضَ كَلَّ دِين وَكلَّ ميتا فيزيقا. اكتشف العالَم وَخلَق تَصوّراً عَنِ الكَوْن مَعَاكِساً لِتأْويلاتنا.

حينما أنيطَتْ بِي مهمّة دَفْع هَذاَ الأثَر للنَّشْر. فَكّرتَ أوّلاَ في مَقَدّمةٍ تتضَمَّن دِرَاسَةَ نقديّةَ تأمّليّة حَوْل عَمَل كاييرو الشعري، نَظَرياته وَمآلِهِ الطّبيعي. إلاَّ أنّني لَمْ أسْتطع إنجازَ أيّ دراسةٍ مَرْضيّة. لَقَدْ بَدَا لِي الشرح والتفسير مُتعذّرَيْن. لأنَّ مَاهوَ مبَاشِر مثْل السّماء والأرْض يسْتعْصي على التفسير : بوسْعِنا فحسب رؤيته والإحساس به.

يحْزنني أن أكون مَجْبراً من لَدُن المنطق عَلَى قَوْلِ هَذه الكلماتِ القليلة عَنْ عَمَلِ مَعَلّمي. وألاَّ أستطيعَ كتابةَ شيءٍ مَفيد أو ضَروري بالكلمة التي كتبتها بالقلْبِ فِي النشيد XIV من «كتاب أول» كِتَابي الذي أبْكي فِيهِ الرّجل الّذي كَانَ بالنّسبة إليَّ. وسيكون بالنسبة

إلى كثيرين كاشف الواقع. و «أخطبوط (1) الاحاسيس الحقة» : المحرر الأكبر الّذي أعادنا، مغنياً. إلى الهبَاءِ المضيء الذي هو نحْن : الذي اقتلعنا من الموت ومنَ الحياة. تاركاً إيانا بين الأشياء البسيطة التي لاتعرف. في مرورِها. شيئاً عنِ المَوْت ولا عن الحياة : والّذي حررنَا مِنَ الأمَل ومِن اليَأسِ. حتّى لانتأسّى بلا منْطقِ ولا نَحْزن بلاَ سَبَبِ : نحن معَه مَدْعوون. بِدون تَفْكيرِ. إلى الحتميَةِ الموضوعيّة لِلكَوْن.

أهَب هَذاَ العَمل الذي عهد إليّ بنشره . إلى المصادفة الحتمية للعالم. أهَبه قائلاً :

فَلْتَفْرحوا أنتمْ. أيها البَاكون أمراض التّاريخ!

لقَدْ بعثَ الإلاه الأعظم.

هذا العَمَلَ بكامِله مهْدى. بناءَ عَلَى رَغْبةِ

من المؤلف . إلى **ثيساريو بيردي.**

---

1) عنقريط Argonouta

I

لَقدْ خَصّني أقارب ألبرطوكاييرو الذي سَلّمَهم هوَ نفْسه أثره الكامل مَع القَصائد المتفرّقة المكمّلة لَه. بمهمّة وَضْعِ تقديمٍ أوْ تمهيدِ تفسيريٍّ لِهذا الأثر باعتباري الشّخص الوحيد الذي يمْكن حِسْبانه تلميذا للشاعر.

تمثل هَذه المهمّة. مع مَا تحمله من امتنانٍ لصَداقتي و (...) وَلإعجابي. عبْئاً ثقيلاً حقّاً عَلى وَعْيي بِحُدودِ كِفَايتي. لَيسَ بِسَبَبِ افتقاري إلى الحساسيّةِ العَفويّةِ اللاّزمة للتمثل المُباشر للقَصائد. ولا الحساسيّة العفويّة الماثلة لِتَثْمينها بِهدوء. ولا بِسببِ افْتقاري. لِكي أقول الحقيقة. إلى التصوّر الصّحيح لِمَا تمثّله من ثقلٍ في ميزان التاريخ الأدبي ؛ وَلَكنْ لأنّني لَسْتَ مَعْروفاً بِمافيه الكفاية. لكي أعْليَ مِنْ جَدَارةِ ظهوري. كَما أنّ الآلهةَ لَمْ تَهَبْني ذلك الأسْلوب الذي يَجْلب المريدين ، لشفافيّته ؛ أوَ يخضِعهم. لحماسيّته.

هَلْ باستِطاعتي الحديث عَنْ ألبرطوكاييرو بِدونِ أنْ أغالي أوأفْرِط ؛ وكيف لِي بالاقتصاد والإيجاز طالما أنّ عليّ أنْ أقول مَا أتصوّره. ماأعتقد أنّه جَوْهَرَ الحقيقَة المطْلقة؟

بَعْدَ مرورِ عشْر سنواتِ ـ أو أكْثر أو أقلّ ـ رُبّما لَنْ يَرَى أحدٌ في كلماتي أيّ مُبالغةِ حينَئذٍ. إن قدَّر للإنصاف. ابن الآلهةِ. أنْ يَهْبط إلى الأرض ذات مرّةٍ. رُبّمَا سيَعْترف وَعْي أوروپا بألْبيرطو كَاييرو المعلّم. والشّاعِر الذي (...).

أما اليوم. وقصائده تَطِلّ عَلى نَافذةِ الجمهور للمرّة الأولى. فلابدّ من تَوخّي الاحتراسِ في الألفاظ. والتّدقيق في الأحكام. والاعتدال في الإشادات.

إنّ رَجلاً يَقول عَنْ نفسه إنّه تلميذ فلاَن يملك بالأقلّ الحقّ في امتداح أستاذه بِدون تورّعِ. أمّا إذا كان مُعاصراً له ونِدّاً فهو يَمْلك مايزيد على الحقّ في ذلك.

أقولُ هذا الّذي مَا كَانَ يستحقّ أنْ أكتبه. لَكنّ عدم كتابته كان سيحْزنني - لأنتَقِلَ إلى "التقديم" الذي طلب منّي إنْجازه.

أقولُ عن ألْبرِطو كاييرو، بِمَا وَسِعَني من قوّةٍ عَلَى إقامة الدليل :

(1) هو الشّاعر الأكبر والأكثر أصالةً منْ بَيْن كل الشّعراء فِي كُلّ اللّغاتِ التي أعرفها.

(2) هُوَ مَنْ أعَادَ بِنَاءَ العاطفة الوثنيّة المفقودة، الّتي لَمْ تُجرّبْ أبداً (...) مِنْ جديد، مُنْذ فقْدانِ الحَضَارة الوثنيّة.

(3) شعره في مجموعه حَوَى مبكّراً. مَلاَمِحَ حضارة جديدةٍ مُتصاهرة بَعْضَ الشَّيْءِ مَعَ أصْوات شَائعة أوروبيّة وأمريكية . لكنّها تَبْدو الآن. في هذا العَمل . مُلْتحمة للمرّة الأولى، وذات معنى...

وبدون تفسيراتِ إضافيّة، أنتقِلُ إلى مَوْضوع مُقدّمتي.

حرفيا : المعتمة

II

أقولُ عَنْ ألْبرطو كَاييرو إنّه أكبر شَاعِرٍ حديث، لأنّه وهو من كِبارِ الشعراء، لايمكنْ إلاّ أنْ يَكونَ شَديدَ التألّق، في عَصْرِنَا المُمدَّد بالفظاعات. في السَّاعةِ الزائفة لحشرجةِ حضارةٍ لم تعرف الاكتمال البتّة.

لِنبرزْ فِي البدايةِ المزيَّةَ الأولى التي تَسْتَرعي الانتباهَ فِي هَذِهِ القصائد. أعْنِي تخلّيها عَنْ أيّ امتِثال إيقاعيٍّ مُصْطَلح عليه. أؤكّد من الآن، عَدَمَ اتّفاقي مَعَها (لايهم). في اللاتّساقيّة هذه ينتفي الترقيم. منذ الكتب النبوئيّة لـ **وليم بليك**، إلى القصائد الغامضة [1] لـ **سوثي**، أوْ **شيلي** حتّى الحياة المكتملة لِلْبَيْت الحرّ في كتاب **ولت ويتمان**... لايمَثّلُ الشعر الحرّ اليوم جَديداً يذكر، ولا وُجود حتى لِمدرسة واحدة بِوُسْعِها أنْ تَنْسُبه لِنفْسها.

الشيءُ الوَحيد الّذي يمكن صُنْعه بالشعر الحُرّ هو الإيقاعية الفَرْديّة التي بمُستطاع الشاعر أنْ يعبّربها مِنْ خِلاله. لَدَى المستخدمين الكبار والحقيقيين للشعر الحُرّ، نَجدُ أنّ النّبرةَ الباطنيَّةَ للبَيْتِ الشعري، وإيقاعه الرّوحي يتغيّرانِ مِنْ شَاعِرٍ إلَى شاعر. الشعر الحُرّ لَدَى عَوامِّ الشعَارير مَاهو إلاّ دَليلٌ إضافيٌّ عَلَى مَا لاَ ينْبغي له أن يمتلك مكاناً في القصيدة.

في الأبياتِ الحرّة لـ **بليك**، أوْ **ويتمان** ثمّة صَوْتٌ مختلف . مُنْحَنى مختلف . سَيقَالُ إنّها كُتِبتْ في إيقاعات مختلفة، ولَوْ لَمْ يَكُنْ أيٌّ منها قدْ كُتِبَ وِفْقَ مايمكنُ اصطلاحياً تَحْديده كنمط من أنماط الإيقاع. عَلَى نَحْوٍ مُشابِه عِنْد الزّارعِ الوحيد **للبيت** الحرّ فِي البُرتغال السيّد **ألبارو دي كامپوس**، ثمة فردانية نَحِسّها جليّة وشخصيّةً في التقنيّة المقطعية العجيبة التي تظهر مِنْ خلال اللاتّساقيَّةِ تِلْكَ.

نَفْسُ الشيء يَحْدُث مع ألْبرطو كَاييرو. شِعْره الحُرّ لايملكُ لا الإيقاعَ التَّوْرَاتي، الرتيب للأبْيَاتِ الحرّة والنّبوئيّة، **لبليك**، ولا ذَلِكَ الإيقاع - ذا البطء المَدْروس - الّذي نَجِدهُ عِنْدَ **سوثي**، **ماثيو أرْنولد**... ؛ ولا إيقاع **ويتمان** الدوغمائي الرّحْب مِثْلِ سَهْلٍ تَحْت الشمس ؛ ولاإيقاع **ألبارو دي كامپوس** المَوْزون بِقوّةٍ دَاخل تصوّر سَنْفوني واضح في **النشيد**. إيقاعُ كاييرو قَطٌّ مُباغِتٌ مُباشِرٌ بصفة مطلقة. مستقيم على الدوام.

---

(1) حرفيا : المعتمة

الأصالةَ التي قَدْ ينمّ عَنْها أصالةٌ مِنْ مُسْتوى مَتدَنٍّ. قيمة كَاييرو باعتباره شاعراً كبيرا تتجلّى حقاً في بنيةِ قَصّائده، في التصوُّر الفلسفي المّميز لِكُلّ شَاعرٍ حديث، وخاضع لمرحلة الشَّباب التي تميِّزهُ.

في الفلسفة أدْرَكَ كاييرو مَالَمْ يدْرِكه أحد : الموضوعيّة المطلقة. لقد ابتكر السِّيرورات الشعريّة لكل الأزمنة تَمَعَّنوا جيّداً فيما أقول : **لكلّ الأزمنة**. لَقَد ابتكر السيروراتِ الفلسفيّة لعصرنا وَمَضىَ في الموضوعية إلى حدّ جَاوَزَ مَعَه العِلْمَ الخالص. قطع الصّلة بالأحاسيس الموروثة عن الشّعر والفلسفة الإنسانيين.

لاشيءَ يُبَرْهِنَ عَلَى ذَلكَ أفْضَلَ مِنْ بَيْتٍ له رُبَّما هُو الأعلى في عمله : الطبيعةُ أجزاءٌ بلا كلٍّ.

III

بِمَ يتميّزُ هَذَا الرَّجل الذي قلتَ عَنْهُ مَاقلْتَ : أبِكَوْنه مجدّدَ الوثنيّة؟ المسألة سَتَبْدو ملتبسة فقط ، بالنسبة إلى مَنْ يجْهَلُ تَماماً، مِثْلَ غالبيَّة مُعاصريَّ، وَكَذَلك غالبيّة المعاصرين. الأفكار الجديدة للموقف المميّز للوثنيّة.

كاييرو مثْل كل الشعراء الكونيين ، شَاعِر بساطةٍ مُطْلَقة، لَيْس كمثل أبْيَاته مَا يحيا بعيداً عن المُخترعين المحدثين للانطباعاتِ، وَصَاقِلي الأحاسيس البسيطة. وعَمَنْ يَلوكون الرّوح ذاتَها حَتّى إضاعتها : إضاعة اللّباب الهُلامي للأحاسيس اللامَعيْنة.

جميع الشعراء الكبار بسَطاء... وإذا ما بَدَا فَهْمُهم عسيراً، فلأنَّ بَسَاطَتَهُمْ تحوي مبادئ جديدةً ، تصوّراً جديداً عن الأشياء يمضي، لِجدَّته، لا لِغموضِهِ، إلى مَاهوَ أبعد من العادات الذهنيّة التي تُشرط عمليّة الفهم.

أنتهي كما بَدَأْتَ، ألبرطو كاييرو هُوَ أحد كبار شعراء العالم، وهو بلاَ شكِ، الشاعر الأكبر للأزمنة الحديثة.

... ذلك الذي سَيُسمّيه النقد ذاتَ يوم مُجدّدَ بناء ليس الوثنية وحدها وإنّما ذلك الإحساس الموضوعي بالكون الذي مَنَح الحياةَ والدم والقدرة لتجليّات الإيديولوجية الوثنية كافةً، تلك التجليّات التي اتَّخذَها جَهْلنا وحَسَاسِيّتنا المُنصَّرة (1) كَروح وجوهر للوثنيّة.

إنَّ مَعْرفته بالرّوح الوثنيّة هِي من العُمْق بِحيْثُ أن قصائدَه على، مَابِها مِنْ لاانتظاميّةٍ في الإيقاع، هي مَنْحوتات تَامّةُ الإتْقَان. يَبْدو، قَبْليّا أن قصائد خالية من الإيقاع لاينبغي أن تمنح الانطباع بوجود تَجانسٍ مَضْبوط. غير أنَّ هذا لايحدث مع قصَائد كاييرو. فهي تَبْدو كما لو كانت ترجماتٍ لقصائد مكتوبةٍ في لغة الآلهة. إلى اللّغة الإنسانيّة، مَعَ حِفَاظ الترجمة على التوازن الإلاهي، الهدوء الإلاهي، والوحدة فوْق الإنسانيَّة لأعْمالٍ أنْجزتْ بأيادٍ خالدة.

---

(1) cristianizada

في كل بيتٍ منْ أبيَاتها تثْوي اللاَّمبَالاة بأشيائنا العابرة. الاحتقار الأصيل والغريب للعَابر، عبر نُسْكٍ إستيتيقي وليس بأخلاقي : بالعَيْنين المثبّتتين. مثْل الإغريق القدامى، في الجَمالِ الثابت الذي فيهِ يَنْسى العَالمَ العَارِضَ والمتغيِّر.

إنّه المثَالَ الإغريقي، وَقدْ وَلِدَ منْ جديد، حيًّا حقًا، مِنْ لَحْمٍ وَدَم. إنّها العُيون الأولمبيّة منْ جديد تتأمّل المشهد المتغيّر للعالم.. ثمة تصوُّر للجمال يتشكّل منْ جديد لاعلاقة له مَعَ الإخلاقي، لكنه ليس شَكْليّاً، كما هو شأن كل المحاولات اللاأخلاقيّة الحديثة، تلك الأعمال المخصيّة لـ "عُلَماء جمالٍ" المداهنة : **وايلد، غوتيير** وآخرين مِنْ حيث الأسلوب، ممَّنْ يملِكُون عن القديم تصوُّراً مصطنعاً وبائساً.

إنّ الأخطاءَ المتعدّدَة للنّموذج التربوي الّذي طُبِّق عَلينا من لدن الأجيال السَّابقة يَجْعَل مِنْ إصْلاح الوثنيّة مسألةً بالغة الصّعوبة. إنَّ الرّجل الذي يَرْغب في أن يَقُود المحْدَثين بِيَده، مِنْ جَديد، عَبْر طَريق الأولمپ، علَيْه، لَيْسَ فقط أنْ يُبعِدَهم عن الطريق المسيحي. وَهُو مالَيْسَ يَسيراً، وإنما عَلَيْهِ، عِلاَوة على ذلك، أنْ يَخْرجَهم مِنْ تِلْكَ الطُّرق المُخْتصرة البَاطِلة ، وَمِنَ السَّبيل المنحرف الذي قَادَهُمْ إليه المجدّدون الجُدَد أوْ مُنَاصِرو الرُّوح الوثنية القديمة. كل ماقيلَ في أيّا منا هذه عن الوثنيّة، لَمْ يتعدَّ مَظاهِر الوثنيّة ، قَصْد الوصول إلى جَوْهرها البَاطِني الحيّ.

هَنالكَ ثَلاثةُ تَأويلاتٍ حديثةٍ للوثنيّة، وَمثْلها ثلاثةُ أخطاء عَن الرّوح الوثنيّة. في البِدايةِ كَانَ هَناك رِجَالَ النّهْضةِ الإيطالية الذين لَمْ يَرَوْا في الوثنيّة سِوَى عِشْقها للطبيعة وعبادتها للكمال الشكلي. بَعْدَئذٍ، وفيما يُعَدُّ انحطَاطًا لأولائك جَاءَ مُؤَسّسو مَا سمي "الرّوحِ الكلاسيكية"، الضَّيّقون الجافّون . الّذين لَمْ يَرَوْا فِي الوثنيّة سِوَى الكَمال الشكلي، وَعبادةِ الشّكْل، نَاسِينَ تَمَاماً ـ لأنهم كَانوا أرواحاً مسيحيّة ـ عبادةَ الجمال التي تَنْبَني عليهَا الوثنيّة، والتي لَمْ تَكُنْ في الواقع سِوَى جانب منْ جوانبها ومن ثَمّة يأتي عُقْم وَجفَاف الرجال الذين أنجبهم " التَّأويل الكلاسيكي" خلال سنواتٍ طويلةٍ. ومنْ ثَمّ **بترارك** والـ (...)، ومن ثمَّ أيضاً الإسيتتيقا العاميّة لـ **بوالو** المقيتة إلى الأبد. في (...)

المتواضع الفرنسي. حَسِبَوا التّوازن. العقْلَنَةَ الفارغة معْيا رأ. بدون تثبّتِ مِنْ أنَّ ذلكَ التوازن وذلك المعيار بالنسبة إلى القدماء لَمْ يَكُنْ شيئاً مُحدّداً، قاعدة أولَى للإسْتيتيقا، وإنّما حدًّا، كَابِحاً لِلفَيْض الباطني والمَبْلبل المُصَاحِب لِكلّ إحساس بالجمال. لَمْ يفهموا أنَّ الكمال لَيْسَ هو الجمال ، وإنما جزءٌ منه فحسب؟ وأنَّ الحدَّ لَيْسَ هُوَ المفهومَ ، ولكنْ مَايعرّفه، بما هو إيّاه..

إنَّ التَّصوّرَ الحديث عن الوثنيّة لَيْسَ بأقلَّ ضيْقاً وبطْلاناً من التّصورين السابقين وإنْ بِشَكْل آخر، وقدْ ظهر بفعْلِ جَهودِ أسِيءَ استخدامها من طرف طائفَة فنّانين بدأتْ بـ **غوتيير** ثمَّ بَلَغت أوْج (...) في شخص أوسكار **وايلد**. نَوْعُ الخطإ هُنَا مُخْتلفٌ.

وايلد في الواقع ضيّق وأعْجف تماماً مِثْل بوالو. يَصعُب اليوم أن نرى ذلك. لكن المستقبل البعيد كفيلٌ بتقويمه. كُلّ روح وُلدتْ وثنيّة تُلاحِظ ذلك عَلَى الفور.

لَسْتَ أريد القول إنَّ الإغريق كَانوا روما نطيقيين عَلَى مستوى التفكير ونحاتين عَلَى مُستَوى الممارسة. لم يكن مُمْكناً لهذا الرّياء أنْ يُوجَد في أرواحهم . إنَّ فعْل الإدراك وفعل تحْويل المدركات إلى ممارسة هما عطيّتان مَرْكوزنان في النّفوس. إنّ كيفية إدْراك عَمَل فنّيٍّ ماهي كيفيّة جعله مُمَارسة فعلية.

إنَّ الجمهور لمدينٌ بالمصادفة للرجُل الاستثنائي الّذي تجمع قَصَائده لَيْس غير المنشورة وَحدَها، بل كذلك غير المكتملة في هذه الطبعة، مَدِينٌ له بفائدة عَلَيَّ أنْ أوضّح لماذا وكيف أنّها تستَوجب الامتنان.

لِلْوَهلة الأولى. لايَبْدو عَمَل كَاييرو المجموع بالكامل هنا، مختلفاً، عدَا في نقط ثانوية، عن الهذَيانات الموزونة لعدّدٍ من الشّعراء المعاصرين. وقلّة من السابقين ممّنْ تُعَدّ الميزة الأساسيّة للإلهام عنْدَهم مجسَّدَة في فرديّة الأحاسيس ولاانتظامها. ولَعَلَّ الاختلالَ الأجْلى والتحرّرَ التّام للغة لَيْسَ فقَط من القافية وَحْدَها ولكن من الإيقاع النّظامي. يأتي منْ مُتابعة الإيقاع الدّاخلي والترنيمة الفوضوية للصّور التي تظْهَرَ في الرّوح.

هَكَذَا، هو الأمْريكي **ويتمان**، أو البلجيكي **مايترلينك**. والشّعر الجديد (....) الفرنسي **جامس jammes**. لكِنْ لايُوجَد أيّ تَماثُل مِنْ أيّ مستوى بين **كاييرو** وهَؤُلاء.

هؤلاء الشّعراء المحدثون تُلائمهم تسميّة : **الحسويون**، تلك التسميّة التي اختارها بعض شعراء مجلّتنا "أورفي" لِتَعريف أنفسهم. إنّهُم أشخاصٌ لاَهَدَف فنيّاً لهم غَيْرَ عَرْض أحاسَيسهم، بدون حتىّ ذَلكَ النظام الأولي الناجم عن استعمال الأشكَال المُصْطلح عَلَيها في الشعر. وَهُمْ لاَيمتلكون نظريّة استيتيقية تشكف طبائعهم. ولاَ نظريّة دينيّة تتجاوَز أهواءهم، ولاَ مَذْهباً فلسفيّاً خاضعاً، عَبْرَ الذكاء لحساسيّاتهم.

النظام دائماً خارجيٌّ. وإنْ لَمْ يُطبَّقْ دائماً من خارج . مبادئ مِزَاجي لاَيُمكنُ أبداً أنْ تطابِق نظامي. النظام هو مَبدأ منظّم للحياة وللعمل الأدبي، يتقبله الذكاء كحقيقة وتَقْبَلُ بِهِ الحساسية كَعَنصر جيِّد. بدُون فعْل يَمسُّ الحساسيّة والذكاءَ مَعاً لايُوجَد نظامٌ : إذا ماقبل الذَّكاء وَحْده بالنظام بدُون مشاركةٍ من الحساسيّة، فَلَنْ يَكونَ هُنَاك وُجُودٌ سِوَى للهواية وحدها :...

الروما نطيقيّون كانُوا مسيحيين مِنْ ناحية الحساسيّة، ووثنيّين من ناحية التّفكير : النّيو كلا سيكيون كَانُوا مسيحيين على مستوى الفكر ووثنيّين عَلَى مستوى الحساسية، لذلك جَاءَ فَنُّ هؤلاء وأولائك ضعيفاً وزائفاً.

الثورة الفرنسية كانت انْبعاثاً للمسيحية. فَرَضيتها الثلاثية هي الفرضية الجوهريّة المسيحية : حرية، مساواة، أخوّة، هِي نَفْسَ التعاليم الجوهريّة للإنجيل اليَسُوعي. حَضَارَتُنا بكاملها بِمثابة تَمرّد للوثنيّة عَلَى المسيحية. رُوسّو بَدَأَ بالفلسفة. انْتَقَلَ إلى السِّياسة وَمنها إلى الحساسية العامّة.

الوثنية انْتفضتْ جزئياً في عصر النهضة. ثم انْتَفضت جزئياً أيضاً فِي القرون الّتي أعْقَبَتها. عنْد كاييرو تمثّل الوثنية انتفاضةً كاملة وجوهرية بدُون آلهةٍ، أكيدٌ، لَكِنْ بكامل الذكاء والحساسيّة الوثنيتيْن، بالموضوعيّة المطلقة في التفكير (...).

(1) حرفيا : مزّق

شعر كاييرو ذِهنيٌّ أكثر ممّا هو عاطفي. بَلْ عاطفيٌّ هُوَ حقّاً، فيهِ نَجدُ أنْفسَنا بَعيدين عَنْ صَخَبِ وَدُخَان العَصْرِ. مَنتمِين إلَى الرؤية الأولِمْبِيّة نَسْتَمتِع . في حَيَاتِنا العابرة . بانْعِكاسٍ لخلود الآلهة.

لاَشَكَّ فِي أنّ لهذا العمل عَيوباً شَتّى. لَكِنّها على جَلاَئها. لاتحجبُ مَاخَلا في مَواضع قليلة. تَألّق العمل ككلّ.

لَقد أزَال .[1] **كاييرو** الضبابة المسيحيّة التي تغطّي الطّبيعة مَعَ الانْفِعَالاتِ المتولّدة عنها. لَكِنّه لَمْ يزل تلك الضبابة تَماماً وَلَمْ يَنْجَحْ في رَفْعها بالكَامِلِ من أمام عَيْنيه. لكنّ ذلك كان متوقّعاً. إذْ لايمكن أنْ يكون ذلكَ منْ عَمَل رَجُل وَاحدٍ، وإنما هُو عَمَلُ أجْيال من الرجال، لاجيل وَاحد. إنّ عجْزَهَ عَنْ إزالتها بالكامل كان متوقّعاً أيْضاً. إذْ في رُوحه كانت تَثْوِي كَمَا في أرْواحنا نحن ، الخميرة الذاتية المسيحية التي تشكّلُ بدون أن نَعِي ذلك جزءاً مُتّحِدَ الجَوهر من مَاهِيَةِ كينونتنا الرّوحيّة. إنَّ الشخص الأكثر وثنيّةً منّا مُجْبَرٌ على التعبير بلغة مَسيحيّة، لأنَّ الكلمات في علائقها المتبادلة، أو في مُدلول كل واحدةٍ منها منفصلةً، مُشْبَعةٌ بالمسيحيّة، وكما أنّنا لَمْ نَعدْ نتكلّم اليونانية كذلك لم نعد نُفكّر باليونانية ؛ لِذَلكَ يظهر في عَمَل **كاييرو** بعض العَنَاصر التي وإن لَمْ تَخفِ جَوْهَرهُ، فَهي تناقضه أو تَعارضه. سَأعَدّد هذه العَنَاصر :

سأختار، في المقام الأوّل، العنصر الأكثر وُضوحاً مِنْ بينها جميعاً : الشكل الشعري المعْتمد، والذي أعتبرهَ غير مقْبول. أعرف أنَّ لذلك الشّكل إيقاعاً خَاصّاً متميّزاً عَنْ إيقاع الأبياتِ الحُرَّة **لويتمان**، وعن الأبيات الحُرّة للفرنسيين المُحْدثين. غَيْر أنَّ ذَلكَ الإيقاع نَاشِئٌ في الواقع، عن العجز عَنْ وَضْع التفكير داخل قوالب ثابتة ؛ مايتميّز به من سهولة مفرطة. يُفقدُهُ ، قيمتَه كَعُنْصر. على الموضوعيّ [2] فَوْق كلّ شيء. أن يَحدّد نطاق موضوعات قصائده، وأنْ يُخضعها (القصائد) لقوانين خارجيّةٍ بالنسبة إليها ذاتها. مثل الحجر عند مايسقط يخضع للجاذبية التي وإن كانت تشكّلُ جزءاً مِنْ " منطق" حركته، فإنّها لاتَشكّلُ جزءاً مِنْ شخصيّته المادّية التي هِيَ فقط ماهي.

(1) حرفيا : مزق

(2) Objetivista

سأسجّل كعنصر مَعيب ثانٍ ـ وهو أشدّ خطورةً بالنسبة إليَّ ، رغم مَعرفتي بأنّه أقلّ خطورة بالنسبة إلى الغير ـ النّزْعة التأثريّة المسيحيّة التي تَغلّف بعض القصائد مَعَ نَوْع من الترميز المسيحي الذي يَميّز بَعْضَها. في كتاب **كاييرو** نَجِدُ من جهة ضرباً مِنْ روما نطيقية طبيعية كتلك التي لَقّنتْها لأوروبا أنا شيد المؤسّس البغيض للنظام الفرانسيسكاني. ومن جهة ثانية نَجِدُ المادة الإستيتيقية لبعض القصائد مَمْسوسةً، بصفة مبرَّرة مع ذلكَ، بنفحَة ميثولوجيا مسيحية غَيْرَ متلائمة مَعَ طبيعة العمل.

لَوْ كَانَ الكِتَابَ مِنْ تأليفِ مَسيحيّ أوْ مِنْ مَحْضِ كائنٍ حسّاسٍ بِدون فَلْسَفة تدعم فنّه، لَكَانَ ذلك العَيْبَ جائزاً، ولَمّا عَدّ خطيئة تُجَاه الطبيعة لكنّ وُرودَ هَذَا العيب في عَمَلِ مَنْ يَعدّ الأشدّ وثنيّة، جوهريّاً، مِنْ كُتّابِ كلّ الأزمنة، هُو ممَّا يَبْعثَ عَلَى الغيظ والغمّ.

العنصر المَعيب الثالث والأخير يَخصّ العَمَل في سيرُورته لا في كَلّيّته. وأنا أعْتَبرهُ مبرّراً، لأنّ المرضَ، وَقبله أحَد تلك التبدّلات الانفعالية التي لاينبغي للرجل القوي حتى في مرحلة الشباب أنْ تَحْدُث له، هما اللّذانِ وَلّدا ذلك العنصر ؛ أخصّ بالذكر هنا، المسار المُتّبع لدى **كاييرو** بَدْءاً من نهاية **راعي القطيع** ؛ أيْ بَدْءاً من القصيدتين القصيرتين لـ "**الراعي العاشق**"، إلى النهاية. حيث يُصبح ذِهْن الشاعر مشوّشاً، وفَلْسَفته مترنّحةً مَبَادِئه تُصابُ بالانتكاس الذي يمثل، بالنظر إلى نظام النفس، انْتِصاراً مُخْجلاً لثورةِ عَبيدٍ عَلَى مُسْتَوى الرّوح. فالقارئ الذي تتبَّع المُنْحَنَى التّصَاعديّ لـ "**راعي القطيع**"، سَيَرى، بَعْد خِتَام مَجْمُوع قَصائده، كَيْف تتخبَّط القريحةُ وتتشوّش، لَيْسَ بِفعْل انحرافها، وإنّما بحكْم تَدَخّل عَنَاصِر غريبة عليها. فليعذر الصديق الناقد، عندما يجد نفسه مَجْبراً على الجَزْم بأنّ الشّاعر قَدْ مَاتَ في الوقت المحدّدِ. لو عاشَ لَرُبّما كانَ غَيّرَما وَصَلَ إليْه. لا أدْري . كلّ فرضيّة من هَذَا النّوع ضَرْبٌ من العبث لأنّ ماكَانَ هوَ مَاكَانَ ينبغي أنْ يكون، هذه مشيئَة الآلهة، سَادَةُ مادَّةِ عَالَمنا.

تلْك هي العيوبَ الثلاثةَ ـ حَسَبَ وجهةِ نظري ـ التي تغلّف هَذَا العَمَلَ. عيوب لا مَناصَ منها: الأوّلُ يَعود إلى الوسط الثقافي الحديث الذي عَاشَ فيه الكاتب؛ الثاني يَعود إلى العفويّةِ والسهولة اللّتين طَبَعَتا عَمَلاً تَوخّى التعبير بدون اهتمامٍ بالشّكل، والثالث بسبب المرض واختلال الروح.

أقول عيوب لامناصَ منها.. لكن العيوب، العيوب الحتمية في كل عَمَلٍ، دائماً هي العيوب الصُغرى. كذلك هو هَذَا العَمَلَ الذي يرتفع شامخاً فوق حَضَارَتنا الخسيسية، لاَيَمْلِكُ غير العُيوبِ الّتي تَأتيهِ منْ تَنفّسه هَذَا الهَوَاء الذي في عَلوّه يَتابع الأثَرَ صَعُودَه.. **كاييرو** وهو الأوّل، منذ عشرين قرناً، من الضباب، الذي أتاح رَؤية مُحيط الجبال والواقع المُبَاشر للحَجَر وَالزّهْرِ. لايمكنُ أنْ يَنْسى مَادَامَ النّاسَ لَمْ يَبْرحُوا بالكَامِلِ طَرَقَاتِ هذا العَالَم وَلَمْ يَنْفَصِلوا تَمَاماً عَنِ المادّة الإنسانيةِ التي منْها خلقُوا.

هذه القصائد، عَلَى بَسَاطتها الظاهرة، قَادرة عَلَى مُفَاجَأة النّاقِد المُحتَرِس، في كل لحظةٍ بِعَنَاصِرِ غَيْرَ مُتوقّعة، وأكثر تعقيداً... إنَّ عَنَاصِر مِثْل الفطرية، والعفوية المميزتين لِقَصَائِد **كاييرو** لَوْ أخَذَها النّاقِدَ مأخَذ البَديهيات، لانْدَهَشَ عِنْد التأكّد منْ أنّها توجد، في الوقت نَفْسه متّحدة على نحوٍ صَارِمٍ. عَبْر تفكير فلسفي لايربط وينسّق بَيْنها وحسب، ولكنّه يتحسّب للاعْتراضات، ويتكهّنُ بالانتقادات، ويُفسّر العيوب عَبْرَ اندماجه في الجوهر الروحي للعمل. هكذا، نَجد أنَّ **كاييرو** الذي اعتقدْناه شاعراً مَوْضوعَوياً، وهو في الواقع كذلك، يُعبّرُ، في أرْبَعٍ مِنْ أغانيه، عن مشاعر ذاتية تماماً.... في القصيدة التّي تَسْبِقُ تلك الأغَاني مُباشرة يَشْرَحُ **كاييرو** كيف أنّها كُتبتْ أثْناءَ المَرَض. وإذن فهي لاَبُدَّ أنْ تَكونَ بالضّرورة مختلفةً عَن القَصَائد الأخرى (1) ذلك أنَّ المَرَض ليس هو الصّحة. وهكذا لنْ يتمكّنَ النّاقِدَ من حَمْلِ كَأسِ الرّضا القاسي إلى شَفَتَيْه الظامئتين...

وحْدَهَ مَنْ يَقْرَأَ هَذاَ العَمل مُتأنّياً بِرُوح يَقِظةٍ. بوُسْعه تَقْدير مايملكه تَماسُكه الذّهني من اضطراب.

---

(1) حرفيا: العادية

هَذَا كله هُوَ مايُشكِّلُ، مَعَ ذَلك، الرّوح الوثنيّة حقّاً. مَا يُشكّلُ ذَلكَ النظام والانضباط اللذين امْتَلكَتْهما الوثنيّة ثُمَّ جَاءَتِ المسيحيّة فَأَفقَدَتْنَاهما. ذلك الذكاءَ المُعَقْلن للأشياء ، الذي هُو خاصيّة الأشياء لاخَاصيّتنا نحن، كل ذلك مَوْجود هناك. إذْ أنّ مَاينقصَ الشَّكْلَ موجودٌ هُنا في الجوهر. إنّ مَاعَاوَدَ **كاييرو** بِنَاءَهَ لَيْسَ الشكل الخارجي للوثنيّة ـ أكَرِّرُ ـ بَلْ جوهرها الّذي اسْتَدْعاه من الجحيم، مثل أورفيوس، بِوَاسطة السِّحْر النَّغمي لإحْسَاسه.

رَأيي أنَّ هَذاَ العمل يتضمَّن عَيْبَيْين إثنين وحسب ، ليس لَهُما تَأثيرٌ يُذكَرُ عَلَى تَألّقهِ المُؤاخي للآلهة.

ماينقص قَصَائد **كَاييرو**. كَعنصر مُكَمِّلٍ، هُوَ النّظام (الاتّساق) الخارجي الذي به يأخذ الشَّكْل السَّمْتَ والتَّماسُك اللَّذَيْن يُهَيْمنان عَلَى مَاهُو بَاطنيٌّ فِي العمل. فالشِّعر الذي اختَارَهُ **كاييرو**، رَغْم طَابَعه الشخصي القويّ، هُو نَفْس الشعر الحرّ الّذي تجده عند المحدثين، لم يخضع التعبير لنفس النظام الذي أَخْضَعَ الانْفعالَ له وَحتَّى الفكر. هَذه النَّقيصة مَغْفورةٌ لِكَاييرو ؛ لأنَّ المُجَدّدين يُغْفر لهم الكثير. لكن لايمكن إغْفَالُ أنَّ الأمْرَ يتعلَّق بنقيصة وليس بِتَميُّز.

كَذلك لاينبغي أنْ نَنْسى العواطف المريضة بعض الشيء بِفعْل الوسط المسيحي الّذي ظَهَرتْ فيه رُوح الشاعر فِي هَذَا العالم. فالفكر الوثنيُّ، بِصِفَةِ جوهرية دائماً، يَسْتَعْمل أحياناً بِدلةً انفعاليّةً غَيْر البِدْلَةِ الملائمة. في "**راعي القطيع**" تَحْسِين تَدَريجيٌّ بهذا المعنى : فالقصائد الأخيرة ـ لاسيما الأربع أو الخمس التي تَسْبِق الاثنتين الأخيرتين ـ تتميَّزُ بِوَحْدة فكرية عَاطفية تامّة. سأغْفِرُ للشاعر كذلك بَقَاءَهُ عَبْداً لِمؤَثّراتٍ عاطفيّةٍ مُسْتَمدَّةٍ من الذهنية المسيحية، لم يتمكَّن أبداً حتى نهاية عمله من التخلّص منْها تَماماً. غَيْرَ أنّني أعيبَ عليه بشدَّة. كما عِبْتَ عَلَيْه ذلك شخصياً وبشدة أيضاً. عَدَمَ رجوعه، في لحظة معيّنة منْ تَطَوّرِه الشعري ، إلَى قَصَائده السَّابقة. لإخضاعها إلى النّظام المكتسب وإتلاف مالمْ يَخْضَعْ منْها لِهذَا النظام. لكنَّ شجاعة التَّضحية بِمَا أنجزَ هِيَ ما افْتَقر إليه

الشاعر. إنّ مُعاودة العَمَل أشَقّ بكثير من العَمَل للمرّة الأولى. ولا شك أنّ الخطوة الأخيرة، بعكس مايقول المثل الفرنسي، هِيَ الّتي تُكَلّفُ الكثير.

هكذا ، أرى ... القصيدة القَادِرة عَلَى التأثير البالغ في أيّ مسيحي هيَ مِمّا يُرْثَى لَهُ بالنسبة إلى شاعر موضوعوي، إلَى مُجدّد جَوهر الوثنيّة. في هذه القصيدة يَسْقط في أحطّ دَنَاءَات الذاتيّة المسيحيّة، وَاصِلاً حتّى ذلك الخليط من الموضوعي والذاتي ممّا يُعَدّ العَلاَمة المَرَضيّة للمحدثين الأشدّ مَرَضيّة (بَدْءاً مِنْ نقاط مُعيّنةٍ في العمل اللاّيُحْتَمل للبَائس المَدْعوّ **فكتور هوغو** حتى مجموع تلْك الخلطة العَديمةِ الشّكل التي تقوم مَقَامَ الشّعر عِنْد مُتصوّفينا المعاصرين).

قَدْ أكون مُغَالياً وَمُشْتَطّاً، إذ بانتفاعي من انبعاثِ الوثنيّة الّذي حقّقه **كاييرو** ، وبإنجازاتي التي حققْتُها كَكُلّ الانتفاعيين في فنّ التّجويد الشعري الثانويّ والسّهل، لَرُبّما يَحْسَبَ مَوْقِفِي ضد العُيوب المُلازمة للتجديد تلْك التي انتَفَعْتَ منْها ضَرْباً من الجحود . لكن إذا كُنْتَ أحْسبها عُيوباً، فَعَليّ، مَعَ تَبريري إيّاها، أنْ أحْسبها كذلك.

لَسْتَ أجهل أنّ القصيدتين تُمثّلان جوهرتين منْ جَواهِرِ شِعْر الحب عَلَى المستوى الكوني : مَفْهوماً جديداً للحب، وَمُوسيقى جديدة للانفعالات العشقيّة. قد يكون كاييرو أخلّ بالتزامه تُجاهَ مَبَادِئه، لَكِنْ لايُمكنه أبداً ألاّ يكُون أصيلاً. هكذا تبدو القصيدتان متفرّدتين ، ضمن شعر الحب. إلاّ أنّني غَيْرمُعْجبٍ بِهِما بِسَبَبِ ذلك.

إنّ حالةَ الحب ذاتَها ، وإنْ كانتْ طبيعيّة، لَيْستْ بالحالةِ المُلاَئمة لِتَرسيخ الانفعالات التي يُولّدها الفنّ، إلاّ في حَالةِ الفنّانين القلائل الّذين يظلّون أوْفياء بصفةٍ ثابتة لِذَوَاتهم. وبالنّسبة إلَى مَنْ يَعَدّ الذّكَاء لَدَيْهِمْ مُمْتَلكاً دَائما لِزمام الانْفعال.

المزاج الميتافيزيقي **لكاييرو** لَمْ يَكُنْ مُؤَهّلاً لتقبّل انفعالات الحبّ المشوّشة بطبيعتها، خاصّة بالنسبة إلى مزاجه هو الذي اعتبرها دائماً شاذّة. ومنْ ثَمّ ذلك التخلّي المؤقت عن مبادئه وعن موْضوعيّته في قصيدتي "**الراعي العاشق**"...

أصِلَ، بَعْد مروري بِهَاتَين القصيدتي المضجرتين، وَمِنْ غَيْرِما اغتباطٍ. إلى المقاطع المختلفة، المكتملة والناقصة ، التي ينتهي بهَا العمل الشعري لكاييرو.

إنَّ التزييف الذهني الناتج عَنْ ذلك الحَادِث العاطفي العارض، الَّذي فَضْلاً عن أنّه كان عقيماً ومَعزولاً، كان مشوّشاً كذلك، واستمرَّ ـ تفاصيله لَستَ راغباً في مَعرفتها ـ حاضراً في رُوح الشاعر، تاركاً أثراً معيباً. هَكَذَا لَمْ يَعَاوِدِ الرُّجوع قَطّ. مَاخَلاَ في مقاطع شعريّة عارضة ومتلاشية، إلى ذلك الصّفاء الأعلى، إلى الرؤية الإلاهيّة التي تمكِّن الشاعرَ، بتحرّره شيئاً فشيئاً من الإضافات الروحية المسيحية، من التخلّص في سبيله ممّا أسماه : **راعي القطيع**...

إنّني بشرحي المسهب لمكوّنات عَمَل **كاييرو** الشعري، أكون قَدْ شَرَحْتَ ضمنيّاً مَواضِع وحالات التزييف فيه (1)...

ألبرطو كاييرو، هو الشاعر الأكبر للقرن العشرين ، لأنّهَ المخلخل الأكبر لكلّ الحساسيات المعروفة على تغيّرها، ولكل الصّيغ الفكرية المقْبولة عَلَى تنوّعها. عاش وَمَاتَ مجْهولاً وبعيداً عن الأضْواء. وهذه ـ يقول عُلماء الباطن ـ هي علامة **المعلّمين**.

حتّى إغريق اليونان الحقيقية أنْفسَهم، خَالِقو الموضوعية لم يَدْرِكوا شأوَ الموضوعيّة المتعالية للبرتغالي العجيب، الذي لَمْ تمْنَحْهُ الشهرةُ شيئاً، لأنّهُ لَمْ يَطْلُبْ منْها أيَّ شيءٍ ؛ وَلَوْ كان طَلَبَها (هيَ المُسْرِفة في مَنْح نفسها اليوم حَدَّ الابتذال) لَكَانَتْ عَرَفَتْ كيف تمنحه نَفْسَها.

من الضروري قراءةُ عَمَل كَايّيرو بِعنايةٍ جديدة. كُلُّ مافيهِ جديدٌ. لا الجوهر الفكري، ولا فنُّ الصّور، ولا المجاز الشفوي، لها سوابق أو قرائن وَحْدَهُ الشكل يحس (...) منْ عصرنا. المجدّدون مهما كانوا كباراً لايمكن أن يكونوا كَاملين في كل شيء. الرجال أو الشعراء الكبار ينتمون إلى عصرهم فقط بنقائصهم.

---

(1) اضطررت إلى حذف ثلاث جمل فيها تكرار لما تقدم شرحه في مواضع سابقة (المترجم)

أتقدّم بالشكر للسادة : أنْطونيو كَاييرو دَاسيلْبا وخوليو مانويل كَاييرو، اللّذَيْن نَحْنُ مَدْينون لأريحيَّتهما بالتنازل عَنْ هذه القصائد. إنَّ عَمَل المعلّم يَتألّف، عِلاَوةً على هذه القصائد، التي تُشكّل كتابه الكامل الوحيد، منْ قصائد ومقاطع أخرى. نأمل ألاّ يتأخّر المؤتمنون عليها، في نشرها بدُون حسابٍ للشهرة التي فقط يَحْصل عَلْيها أولائك الّذين لايَسْتَحقّونَها.

ريكاردو رييس

راعـــــي

القـــطيـــع

لَمْ أرْعَ أيَّ قطعان قطّ،

لكن يَبْدو كما لو أنّني رعَيْتها.

روحي أشبهُ بالرّاعي

تَعْرِفُ الشَّمسَ والرّيح

منْ يَدِ الفصول تمضي

ناظرةً تُواصل المُضيّ

سَلاَمُ الطَّبيعة بِدون بَشَرٍ

إليَّ يأتي للجُلوس بجانبي

لكنّني حَزيناً أغْدو تجاه التخيُّل

مِثْلَ غروب شمس،

عِنْدَما يَدبّ النَّشاط في أعْماق البطْحاء ويكون

اللّيلُ قد تسلَّل

مِثْل فراشةٍ عَبْرَ النافذة

غَيْر أنَّ حُزْني هُدوءٌ كُلُّه

لأنَّه طبيعي وصحيحٌ

ولأنّه هُوَ مَايَجِبُ أن يَعْتَري الرّوحَ

عِنْدَمَا تفكّرُ أنّها موجودة

بَيْنَما يَدَايَ بِلاَوعي تقطفانِ الأزْهار.

خَواطِري مُغْتبطةٌ

مثْل جَلَبةِ أجَراسٍ

فيما وَرَاء مُنْحنَى الطَّريق.

مايُحزنني فَحَسْبُ هُو مَعْرفتي بغْبطتها

لأنّها، لَوْلَمْ أعْرِف،
سَتَكُونُ حزينةً مغتبطة
بَدَلَ أنْ تَكونَ مغتبطة حزينة.

مُزْعِجٌ هُوَ التفكير كالسَّيْر تَحْتَ المطر
عِنْدما تشتدُّ الرِّيحُ وهطولُ المطر يَشْتَدُّ.
لامَطَامِح لديَّ ولاَ رغائب
كَوْني شاعراً ليس مطمحي الخاصّ
هُوَ طريقتي في أنْ أكونَ وحيداً.

إذا كنتُ أرْغَب أحياناً،
بواسطة التخيّل، في أن أكون خروفاً
(أو أكون القطيع بِكَامِلِه
حتّى أمْضي مُبَعثراً عَبْر المنحدر
حَاسّاً أنّني مجموعُ أشياءَ كثيرة مَحْظوظة في آن واحد)
فلأنّني فحسْبُ أحِسُّ ما أكتب حَالَ غروب الشمس
أوْ حَالما تُمرِّرُ غيمةٌ يَدَهَا فوق النُّور
بينما السُّكون يَخْترقُ العشب

حينما أجْلس لِكتابةِ أبياتٍ
أوْ، حينما أكتب، مُتجوّلاً عَبْرَ الطُّرُقات،
أبياتاً عَلَى ورَقٍ مَوْجودٍ في تفكيري،
وَأحِسُّ عَصَا الراعي بيْن يَدَيَّ
أرى لِي وَجْهاً

فِي قِمّةِ رابيةٍ.
يَنْظُر إلَى قطيعي وَيَرَى أفكَاري،
أو يَنْظَر إلى أفكاري وَيَرَى قطيعي،
وَهو يَبْتَسِم بِغموضٍ كَمَنْ لاَيَفْهَمَ مايقَال
وَيريدُ التَّظاهُرَ بالفَهْم.

أحيِّي جَميعَ مَنْ يقْرؤني
نَازِعاً قُبَّعتي ذَاتَ الطّرف الوَاسع
عِنْدمَا يَقَع بَصَرهُمْ عَليَّ بِبَابي.
وأنا بالكَادِ أظْهَرَ سريعاً على قمة الرابية
أحيِّيهمْ وأتمنَّى لَهَمْ الشَّمْس،
والمطر، عِنْدَ الضرورة،
وَأتمنَّى لِمنَازِلهمْ مَقْعداً وثيراً
جَنْبَ نافذةٍ مَفْتوحةٍ،
فِيه يَجْلِسُونَ لِقِراءة أشْعَاري.
وليفكّروا، وَهمْ يَقْرؤونني،
أنّني شيءٌ طبيعيّ تماماً :
مثْل تِلْك الشجرة المعمّرة التي كانوا، يتها لكون
صِغَاراً، عَلَى ظِلّهَا، مُتعَبينَ مِنَ اللّعب،
وَهمْ يَمْسَحون العَرق من الجبين المتَّقيد
بِكَمّ السّتْرةِ المخطَّطة.
.

(١) حرفيا : أعرف

2

نَظْرتي صَافيةٌ مِثْل عَبّادِ الشّمس.
عَادتِي السَّيْرَ عَبْرَ الطّرقات
والنَّظر إلَى اليمين إلى الشّمال
إلى الوَراءِ منْ حِينٍ إلى آخر.
وَمَا أرَاه كَلّ لَحْظَةٍ،
هُوَ مَالَمْ أرَه قطّ منْ قبْلَ،
وَهومَا أتَأكَّدَ منْهُ جيّداً.
أجيدُ (1) الإحْساسَ بِدَهْشةِ الطّفل
أثْناء الوِلادة،
إذا تنبَّهَ حَقّا إلى أنّه قَدْ وَلد.
أحِسّني مَوْلوداً كَلّ لَحْظَةٍ
إزَاء الجدَّةِ الأبديّة لِلْوجود.

أو مِن بالعَالَم إيمَاني بأقْحوانة،
لأنّني أرَاهُ. لَكِنْ بِدون أنْ أفكّرهُ.
لأنّ التفكيرَ هُوَ عدمَ الفهم.
لَمْ يَخلق العَالَمَ لنُفكّر فيه
(أنْ أفكّر معناهُ أنّ بي رَمَداً في العينين)

(1) حرفيا : أعرف

ولَكِنْ لِيرَى وَيَتقَبّل...

لاأمْلِكَ فَلْسَفةً أنَا أمْلِكَ حَواسّاً

وإذا كنتَ أتحدَّثَ عن الطبيعة فَلَيْسَ لأنَّني أعرِفَ مَاهي،

وإنّما لأنَّني أحِبّها، أحِبّها لذلك بالذات،

لأنَّ مَنْ يحِبُّ لايَعْرف أبداً مَا يحِبُّ،

وَلاَ يَعْرف لَماذَا يحبُّ، وَلاَ مَاهو الحب..

الحبُّ هُوَ البَراءة الخالدة.

والبَراءةُ الوحيدة هِيَ عَدَمُ التَّفكير.

3

في المَسَاء، وأنا أطِلّ من النّافذة،
عَارفاً، مُواربةً، أنَّ ثَمّةَ حُقولاً قُبَالَتي،
أقْرأ، أقْرأ كِتاب **ثيساريو بيردي**
حتّى تَظْطرم عَيْنَاي.

لَكَمْ أرْثي لِحَالهِ! قرَويّاً كَانَ يمضي
سَجيناً بلاَ قُيُودٍ عَبْرَ المدينة.
غَيْرَ أنَّ الطريقة التي كَان ينظربها إلَى المنازل
والطريقةَ التي بِهَا كَانَ يُراقب الشّوارع
ونمطَ الاهْتمام الّذي كَانَ يُبْديه تُجاهَ الأشْياء.
كَانتْ مِمَّا يُبْديهِ منْ يَنْظر إلَى الأشجار.
وَمَنْ يَخْفِضْ العينين في الطريق الذي يسيرُ فيه.
مُحدّقاً في الزّهور الّتي في الحقُول...

لذلكَ انْطَوى عَلَى ذَلكَ الحزن الكَبير
الّذي لَمْ يَبحْ بِهِ قطّ
لكنّه كَانَ يَسيرُ في المدينة كَمَنْ يَسيرُ في الحقْلِ
حزيناً كَمَنْ يَضْغطَ عَلى أزهارٍ في كُتُبٍ
وَيَضَعَ نَباتَاتٍ في أواني...

4

هَذا المساء أطاحَت العَاصِفة
بِمُنْحدراتٍ من السَّماء السُّفلى
مِثْل جَلْمودِ صخْرٍ...

كَمَا لَوْ أنَّ أحداً مِنْ نافذةٍ عاليةٍ
نفَضَ شَرْشَفاً.
فأحْدَثت الفُتاتاتُ، وَهي تسقُط مجتمعةً.
دَويًا لَدى سُقوطها،
وَقَدْ أزَّ المطرُ من السَّماء
وَسوَّدَ الطُّرقات...

عنْدما رَجَّفَتِ البَروقَ الهواءَ
وَهَوَّتِ الفضَاءَ
مِثْل رَأسٍ هَائل يَقُولُ لا،
لا أدْري لِمَاذا ـ ولَم أكُنْ فزعاً ـ
شَرَعْتُ في الصَّلاة لـ **سانطابارْبَرَا**
كَما لَوْ كَانتِ **الخَالة العجوز** لأيٍّ كان!..

آهٍ. ذلكَ أنني بِصَلاَتي لـ **سانْطَابَارْبَرَا**
أحْسَسْتني أكثر سَذاجةً
مِمَّا أحْسَبني

أحْسَسْتَني عائلياً وَمَنْزِلياً
أمْضي بِهدوءِ حَياتي،
مِثل سَورِ البستانِ
مُمْتلكاً أحاسيسَ وأفكاراً
مِثْلما الوردة تمتلكُ العطرَ واللّوْنَ...

أحْسَسْتَني أحَداً بِمُسْتطاعه الإيمان **بِسَانْطابَارْبَرا**
آهِ، من استطاعتي الإيمان **بسانطابَارْبَرا**!

(سَيُفكِّر بماذا
ذلك الذي يُؤْمن بِوُجود **سانطابَارْبَرا**؟
أسَيُفكِّر بأنّها مُشَخَّصةٌ ومرئية؟)

يَاألَهَا منْ خُدْعةٍ! ماذا تَعْرف
الأزهارُ، الأشجارُ القِطْعانُ،
عَنْ **سانطابَارْبَرا**؟... لَوْ بُوسْع غُصْنِ شجرةٍ
أنْ يَفكِّر، لَما أمْكَنه البَتّةَ اختراعُ قدّيسين
وَلاَ مَلاَئكة...
بِوُسْعه أنْ يتصوَّر الشَّمس إلاهاً،
والعاصفةَ حشداً من البشر الغاضبين فَوْقَنا...
آهِ، حتّى أكثر الرجال بَسَاطةً
مَرْضى وَمَرْتبكون وأغبياء
أمَام مَايُميّزُ وُجودَ الأشجارِ والنَّباتات
منْ صِحَّةٍ وبساطةٍ خالصة!

وبتفكيري فِي هَذا كُلّه،

أحْسَسْتَ منْ جديد بأنّي أقلّ سعادةً...

أمْسَيْتَ كَدِراً مَريضاً وَصَمُوتاً

مِثْل نِهَارٍ يَنْذِرُ بِقُدوم عَاصفةٍ لكنّها

لاَ تجيءُ حتّى مَعَ حلول الليل...

ثمّة مَايكْفي من الميتافيزيقا
فِي عَدَم التفكير فِي شيءٍ.

أيّ فِكْرةٍ لديّ عَنِ العَالم؟
مَاذَا أعْرفُ أنا عَمَّا أفكّر عن العالم؟
لَوْ مَرضتُ سأفكّر.
أيّ تصوّرٍ لَديّ عن الأشياء؟
رَأيِي الخاص في الأسباب والنتائج؟
تَأمّلاتي حَوْل اللّه والروح
وَحَوْل خَلْقِ العالم؟
لاَأدري. أن أفكّر بهذه الأمور عِنْدي
هَو أن أغمِضَ اَلعينين وألاّ أفكّر بشيءٍ.
أن أسدِلَ سَتَائر
نَافِذتي (لكنها بدون ستائر).

سِرّ الأشياء؟ من أين لِي أنْ أعْرِف السّرّ!
السّرّ الوحيدُ هُوَ أنّ ثمّةَ مَنْ يفكّر في السّرّ.
مَن يَوجَدُ قبالة الشمس مُغمِضاً عيْنَيه،
يَبدَأ فِي الكَفّ عن مَعرفةِ مَاهية الشمس،
مُفكّراً فِي أشياءَ كثيرةٍ مُمتلئةٍ حرارةً.
لكنّه يَفتحُ اَلعينَين فَيَرى الشّمس
فَلاَ يَستَطيعُ التّفكيرَ في شيء.

لأنَّ ضَوءَ الشَّمس أغلَى مِن أفكَار
جميع الفَلاسفة وجميع الشّعراء.
ضَوْءُ الشّمس لايَعْرف مايَصْنعَ
لذلك لايُخطئ لذلك هُوَ شَامِل وَنَافِع.

الميتافيزيقا؟ أيّ ميتَافيزيقا لَدَى تلْكَ الأحجار؟
ألأنَّها خَضْراء. ألأن لَهَا رُؤوساً وأغْصاناً
ألأنّها تثْمِر فِي أوانِها مِمّا لايحملنا عَلَى التَّفكير
فِي أنّنا لانعرف كَيْف نُعيرُها اهْتِمامَنا.
لَكِنْ أيّ ميتَافيزيقا ثَمَّةَ أفْضَلَ مِمّا لَدَيْها.
ألاَّ تَعْرفَ لماذا تَحْيا ولاتَعْرف أنَّها لاتعرف؟
«البِنْيةُ الباطنيّة للأشياء»...
«المعْنَى البَاطنيّ للكون»

كَلّ هَذَا بَاطِلٌ. كَلّ هَذَا لايَعْني شيئاً.
غَيْرَ مَعْقول إمْكَانَ التفكير فِي أمُورِ مِنْ هَذَا القَبيل.
إنَّهُ أشْبَهُ بالتفكير في عَلَلٍ وغايات بعيدة
حينما يَبْدَأ الصَّباحَ فِي البُزوغ. وعلى جَوانِب الأشجارِ
يَفْقِدُ ذَهَبٌ لَمّاعٌ غَامِضٌ
شيئاً فشيئاً غموضه.

التفكير في المعني الباطنيّ للأشياء
مُبَالَغٌ فيه. أشْبَهُ بالتفكير في الصحّة هُوَ.
أوْ بحمْل كُوبٍ إلى مَاءِ الينابيع.

المعنى الباطنيّ الوحيدُ للأشْياء
هُوَ أنّها لاتَمْلِكُ أيَّ مَعْنى بَاطنيٍّ.

لاَ أومن باللّه لأنّني لَمْ أرَهْ قطّ
لَو أرادني أنْ أومن بـه،
لَجَاء بالتأكيد لِيكَلّمني
وَلَدَ خَل عَبْر بَابِي قائلاً لي
هَا أنذَا!
(أحياناً يَكُونُ لِهذا وَقْعٌ مُضْحِكٌ
فِي أذنِ مَن لايفْهَمْ، بسبب عَدَمِ مَعْرفتهِ
مَعْنى النّظر إلى الأشياء، ذَلكَ الذي يتكلّم عنْها
بالطريقة التي يعلّمنا إيّاها النّظر إلى الأشياء)

لَكِنْ إذَا كَانَ اللّهُ هُوَ الأزْهَارَ والأشجارَ
والجبالَ والشّمسَ والقَمرَ،
فأنا مُومنٌ بِهِ إذَنْ،
مؤمنٌ بِه فِي كل الأوقات
وحَياتي كُلّها دُعَاءٌ وَصَلاةٌ له
كُلها اتّحادٌ مَعَهُ بالعَيْنَيْنِ والأذنَيْن.
لَكِنْ لَو أنَّ اللّه هو الأشجار والأزهارُ
والجبالُ والشّمسُ والقمرُ
لِماذَا أدْعُوهُ الله؟
أدْعُوهُ شجراً وأزْهاراً وجبالاً وشمْساً وقمراً ؛

لأنَّـهُ إنْ كَانَ قَدْ وُجِدَ، لكي أرَاه
شمْساً وَقمراً زهوراً وشجراً وجبالاً،
إنْ كَانَ يَبْدو لِي بِهَيْأةِ أشْجارٌ وجبالِ
وَقمرِ وَشَمْسِ وزَهُور
فَلِأَنّهُ أرَادَني أنْ أعْرفَه
بصُورة جِبَالِ وأشْجار وَأزْهَارِ وَقمَرِ وشَمْسِ.
ولذلك أنَا خاضِعٌ لَهُ
(مَاذَا أعْرِفُ عن اللّه أكثر مِمَّا يعرف اللّهُ عَنْ نَفْسه؟)
أخْضَعُ لَهُ، عَائشاً ، بِعَفْوِيّةٍ،
كَمَنْ يَفْتَح العَيْنَين ويَرَى،
وَأسَمّيه القمَرَ والشَّمسَ والجِبَالَ والأشْجار،
وأحِبُّهُ بِدون أنْ أفكّر فيهِ،
وأفَكّرُ فيهِ مُبْصراً صَاغياً
وَمَعَهُ أمْضي فِي الأوْقَاتِ كُلّها.

6

التفكير في الله عِصْيانٌ لِلَّهِ،
لأنَّ اللَّهَ شاءَ ألاَّ نَعْرِفه،
لذلك لَم يَظْهَرْ لَنَا..

لِنَكُنْ بُسَطَاءَ وَهَادِئين
مِثْل الجَدَاوِل والأشجار،
سَوْفَ يُحِبّنا اللَّه وَيَجْعَلَنا جَميلين
كالجَداول والأشجار،
ويَهَبُنَا زُهوراً في الربيع
ونَهْراً يَحْمِلنا عنْدمَا حَيَاتنا تَنْتَهي...

7

مِنْ قَرْيتي أرَى كلّ مَايمْكِنَ أنْ يرَى منْ الكَوْن
فِي هَذهِ الأرْض
لِذَا كَانَتْ قريتي كبيرةً مِثْل أيّ أرْضٍ أخْرى،
ذلكَ أنّني بِحَجْمِ مَا أراهُ
لابِحَجْم قَرْيَتي..

الحَيَاة فِي المُدن أصْغَرُ منَ الحَيَاة
هُنَا فِي مَنْزِلي بأعْلَى هَذِه الرَّابية
في المدينة تُغلِقُ المَنَازِل الكبيرةُ الرّؤيةَ بالمزلاج،
تحجُبُ الأفقَ، تَدْفع بنَظْرتنا بَعيداً عن السَّماءِ كُلّها،
تُصغِّرُنَا لأنّها تأخذُ مِنّا كُلَّ شيء حتّى القدرة
عَلَى النّظر.
وتفقِرُنا لأنَّ ثَرْوتَنا الوحيدةَ هِي النَّظر.

8

فـي مُنْتصف نَهارٍ مِنْ نهاية الرَّبيع

رَأيت، في حُلم شبيه بصُورِ فوتوغرافيّةٍ،

يَسُوعاً يَنْزِلُ إلى الأرض.

مِنْ مُنْحدَر جَبَلٍ أتى،

طِفْلاً عَادَ مِنْ جديد،

يَرْكُضُ وَيَتمرَّغُ فَوْقَ العُشْبِ

ينتزِعُ الأزهارَ كي يَرْمِيها مِنْ بَعْدُ،

ضَاحِكاً لِكَيْ يَسْمَعَ مِنْ بعيدِ

لَقَدْ هَرَبَ من السَّماء

كَانَ شديدَ الشَّبه بِنا إلَى حدٍّ لاَ يُمكنُ مَعَهُ

أنْ يَتَظاهرَ بأنّهُ الشَّخْصُ الثَّاني في الثَّالوث المُقدَّسِ.

مَافي السَّماءِ زَائفٌ كُلّهُ، مُتعَارِضٌ

مَعَ الأزْهَار والشَّجَر والحَجَر.

فِي السَّماءِ يَجِبُ أنْ تَكُونَ جدّيّاً عَلَى الدَّوام،

وَأنْ تَسْتَعِيدَ صُورَةَ الإنسَانِ مِنْ جديدِ مِنْ حين إلى آخر

وأنْ تَصْعَدَ إلَى الصَّليبِ وأنْ تَعُودَ لِتَمُوت دائماً،

بِتَاجٍ مُطوَّقٍ بالأشْواكِ

وبالقَدَمَيْن مُسَمَّرَتَيْن بالمِسْمار

وحتّى بِخِرقةٍ تُطوّقُ الخَصْرَ

على شاكلةِ الزّنوج في الرّسوم.

لَمْ يَسْمَحوا لَهُ حتَّى بأنْ يَكونَ لَهُ أبٌ وَأمٌّ
كَسَائر الأطْفالِ.
أبوهُ كَانَ شَخْصَيْنِ اثْنَيْن :
شَيْخاً يُدْعَى يوسُف، وَكَانَ نَجَّاراً
وَلَمْ يَكُنْ أبَاهُ،
والأبَ الآخر كَانَ حَمامَةً بَلْهاءَ،
الحمامةَ الوحيدَةَ الدَّميمةَ في العالم.
لأنَّهَا لَمْ تَكُنْ من العالم ولَمْ تكُنْ حَمَامة.
أمَّا أمّه فلَمْ تَعْرِفِ الحُبَّ قَبْلَ أنْ تُرْزَق بِه.
لَمْ تَكُن امرأةً : كَانَتْ حقيبةً
فِيها جَاءَ هُوَ من السَّماء.
وَقَدْ أرادُوه، هُوَ المَوْلودِ من امرأةٍ وحسبُ
وَبِدُون أبٍ يُحَبُّ باحترام،
أنْ يُبَشِّر بالخَيْر والعَدْلِ!

ذاتَ يَوم كَانَ اللّهُ فيه نائماً
والرُّوح القُدُسُ يَسيرُ طائراً،
مضَى هو إلى صُنْدوق المعجزات فاختَلَسَ ثَلاَثًا :
بالأولى أبْطَلَ أنْ يَعْلَمَ أحَدٌ بِهروبه.
بالثَّانية خلق نفسه إنسانا وطفلا إلى الأبد
بالثَّالثة خَلَقَ يَسوعاً مُثبَّتاً أبَديّاً على الصَّليب.
ثُمَّ أبْقَاهُ مُسمَّراً على الصَّليب المَوْجودِ في السَّماء
ليكُون مَثَلاً صالحاً...

بَعْدَئذٍ هَرَبَ نَحْوَ الشَّمس

ثَمَّ هَبطَ مَعَ أوَّل شعَاعٍ أدْرَكَه.

هُوَ اليَوْم معي في قَرْيتي يَعيشُ.

طِفْلٌ طبيعيٌّ وجميلٌ عنْدمَا يَضْحَكُ.

يُنَظّفُ أنفَهَ بالذّراعِ الأيْمن.

يَخوّضُ في البَركِ،

تُعْجِبُهُ الأزْهَار فَيَقْطَفُها ثُمَّ يَنْسَاها.

يَرْمي الحَميرَ بالحِجَارة

يَسْرِقُ الفَواكهَ من الأشْجار

ويَهْرَبُ بَاكياً صَارخاً من الكِلاب

وَيَرْكُضُ خَلْفَ الصَّبايا

السَّائراتِ مُجْتَمِعاتٍ عَبْرَ الطّرُقاتِ

بأبَاريقَ عَلَى الرّؤوس

فَيَرْفَعُ لَهُنَّ التَّنَانير.

لَقَدْ عَلّمني كُلَّ شيءٍ

عَلّمني النَّظر إلى الأشْياء

دَلّني عَلَى كُلّ مَا في الأزهار منْ أشياء.

أظْهَر لِي كَمْ هُوَ الحَجَرُ مُغْتَبطٌ

عندما نَضَعُه فِي الكفّ

ونَنْظُر عَلى مَهَلٍ إليه.

هُوَ مَعي فِي مَنْزِلي يَعِيش. عَلَى الرَّابية،

هُوَ **الطفل الخالد**، الإلاهُ الَّذي كَانَ يَنْقُصنَا

هُوَ الإِنْسَانيّ الطبيعيّ،

هُوَ الإِلاَهيّ الذي يَبْتَسِمُ وَيَلْعب،

لذَلك أعْلَمُ عِلْمَ اليَقين

أنّهُ هو الطّفْلُ يسوع الحقيقي.

هذَا الطّفلُ الإنسانيُّ الإلاهيُّ

هُوَ حَياةُ الشاعر اليومية حيَاتي هَذِه.

ولأنَّهُ دَائمُ الْمصَاحَبة لِي لِذلكَ أنَا شَاعِرٌ عَلَى الَّدوام،

لذلك أقلّ نَظْرةٍ عنْدي تَكْفي

لأشْباع الإِحْسَاسِ،

أقلّ الأصْوات، أيّاً كان،

يَبْدو وَكَأنَّهُ مَعِي يتكَلَّمْ

الطفلُ الجديدُ الّذي يُقيم مَعِي

يَمُدُّ يَداً إليّ،

ويَمُدُّ الأخرى إلى كلّ الموجودات،

وهَكذَا نَمْضي نَحْنُ الثَّلاثة عَبْر الطرقاتِ

وَاثبينَ مُغَنّينَ ضَاحكين

ومستمتعينَ بِسرّنا الْمشْتَرك،

الَذي هو معرفة الاَّ وُجودَ

لأيّ سِرّ في أيّ مَكانٍ مِن هَذا العالم

وأنَّ كلَّ مَافي الوُجود يستحقّ العَنَاء.

الطّفل الخَالد دائماً يلاَزِمُني
وِجْهَة بَصَري هِيَ مايُومِئ إليه أصْبَعه،
مِسْمَعي المُتنبِّه بغبطَةٍ إلى كل الأصوات.
مَا هُو إلاَّ الدَّغْدغات التي هُوَ يصْدِرها
مُلاَعِباً أذنَيَّ.

مُتَعَايشان في وئام
بِصُحْبَةِ الأشْياء كُلّها
بِدُونِ أنْ يُفكّر أيٌّ منّا في الآخر،
لكنّنا مُتّحدَيْنِ نَحْيَا نَحْنُ الإثنان
بتَوَاؤمٍ بَاطِنِيٍّ
كَاليَدِ اليُمْنَى واليَد اليُسْرى.
عِنْدَما يحلُّ اللّيْلُ نَلْعَبُ لُعْبة الحَجَر
في دُرْج بَابَ المَنْزل،
وَقُورَيْن كَمَا يَليقُ بإلاَهٍ وَشَاعر.
كَمَا لَوْ أنَّ كُلَّ حَجَرٍ كَوْنٌ كَاملٌ.
لِذلكَ من المجازفة بِمَكانٍ
تَركُه يَسْقط عَلَى الأرض.

بَعْدئذٍ أحْكي لَه حكَايا عَنْ أشياء البَشَر
فيبتَسِم لأنَّ كلَّ شيء غيرُ مَعْقول.
ثمَّ يَضْحَك. من المُلوك ومِمَّنْ لَيْسوا مُلوكاً.
ويُحزِنُهُ سَمَاعُ الكَلاَمِ عَنِ الحُروب.

عن التّجاراتِ والسّفن
التي تَطْلِق دُخاناً في أجْوَاء أعَالِي البَحَارِ.
لأنّه يَعْلَمَ أنّ ذلكَ كُلّه يَخْلو منْ تِلْكَ الحقيقةِ
التي تملكُها الوَرْدة عِنْدَما تَزْهِرْ
تِلْكَ الحقيقةِ التي مَعَ ضوْء الشمسِ
تبدّلَ الجِبالَ والوديانَ
وتجْعَلَ الأسْوَار المكلّسة مؤلِمةً لِلأعْيَن.

ثمّ أهَدْهِدُه حَتّى يَنَام
أحملُه بين ذراعيّ إلى دَاخِل البيْت
أضَعُهُ في السّرير، مُجرّداً إيّاه بِبطْءٍ منْ ثيابهِ
كَمَنْ يَكْمِلُ طَقْساً في مُنْتَهى الطّهر،
وبكلّ أمومِيّة، حتّى العُرْي الكامل.

دَاخلَ رُوحي يَنَام
لَكِنّهُ أحْيَاناً يَسْتَيقظ في اللّيْل

فَيَلعبُ مع أحلامي
يَقْلِبُ رِجْلَيْه إلى أعْلى،
يَضَعُ إحْدَاهُمَا عَلَى الأخرى،
وَيهلّلُ للشّمس
مُبْتَسِماً لحُلمي.

عندما أمُوتَ، يَاوَلَدي،

أنَا الطّفلُ، الطّفْلُ الأصْغر.

ضعْني بيْن ذِرَاعيكَ

وَاحْمِلني إلَى دَاخل بَيْتِك.

جَرِّدْني منْ كَيْنونتي المُتْعَبة والإنسانية

ثمّ نَوِّمْني في فِراشِكَ

وإذا أفقْتَ إحْكِ لِي حِكاياتِ

لِكي أعَاوِدَ النَّوْم

أعْطِني أحْلاَمَك كَيْما أواصِلَ اللّعِبَ

حتّى يُولَدَ أيّما نَهارٍ

أنتَ بِهِ عَليم.

هِيَ ذي قِصّةُ طفلي يَسُوع

لِمَ لاَ ينبغي أنْ تَكُونَ

أكْثَرَ حقيقيّةً منْ كُلّ مايفكّره الفَلاَسِفة

ومنْ كُلّ مَاتعَلّمناه الدّيانات؟!

9

راعي قطيع أنا
والقَطيعُ هوَ أفكاري
وأفْكَارِي كُلّها أحاسيس
بالعَيْنين أفكّر وبالأذنين
باليَدَيْن وبالقَدَمين
بالأنْف والفم.

أنْ أفكّر في زَهْرةِ هو أنْ أرَاهَا وَأشَمَّها
أنْ آكُلَ فَاكِهةً هوَ أنْ أعْرف مَعْنَى الفاكهة
لِذَلكَ عِنْدَمَا أحِسُّني حَزيناً
في يَوْم حَارّ،
لاسْتِمتاعي بهِ زِيادةً عَلى اللّزوم،
أرْتَمي بالطول عَلَى العُشْب،
وأغمِضُ العَيْنين الدافئتين،
أحِسّ بِكَامِلِ جِسْمي مُلْقى على **الواقع**.
أعْرِفُ الحقيقةَ وَأكُون سعيداً.

10

مرْحى بِرَاعِي القطيع.
هُنَالِك جَنْب الطريق،
مَاذَا تقولُ لَكَ الرِّيحُ التي تَمُرُّ؟

«تَقولُ إنَّها رِيحٌ تَمُرُّ
وَقَدْ مَرَّتْ مِنْ قَبْل،
وَستمرُّ مِنْ بَعْد.
وأنت ماذا تقول لك الريح؟»

«أكثر مِنْ ذَلك بكثير تَقولُ لِي.
تُكلِّمني عَنْ أشياءَ كثيرةٍ أخرى
عَنْ ذِكرياتٍ ونوسطالجيات
وَعَنْ أشياء لَمْ تَحْدُث قطّ.»

«أنت لَمْ تَسْمَعْ أبداً مُرُور الرِّيح.
فالرِّيح فَحَسْبُ تتكلَّم عَنِ الرِّيح
مَاسَمِعْتَه كَانَ كَذِباً
والكَذِبُ فيك وَحْدَكَ أنْت»

11

لدى تلْكَ السَّيِّدةِ آلةُ بيانو

مِنْ الممتع سَمَاعها لكنَّها لَيْسَتْ بِجريان الأنهار

ولاَ بالحفيف الذي تُحْدِثه الأشجار

لِماذَا ينبغي امْتلاَكُ بيَانو؟

من الأفْضَل امتلاكُ السَّمع

والإصغاءُ جيِّداً للأصْواتِ التي تولَد.

12

رُعَاةُ **فرجيل** يَعْزِفُون عَلَى النَّاي وَأشْياء أخرى
ويتغنَّوْنَ أدبيًّا بالحبّ.
(يَقولون إنّني لَمْ أقْرأ **فرجيل** قَطّ.
لأيّ شَيْءٍ ينبغي لِي أنْ أقْرَأه؟)

لكنّ رُعاةَ **فرجيل** لَيْسُوا رُعاةً ؛ هم فرجيل ذاته
والطبيعة جميلة قَبْلَ ذلك كُله.

13

خفيفة ، خفيفة جداً

رِيحٌ خفيفةٌ جداً تمرُّ،

ثُمَّ تَمْضي، دَائماً خفيفة جِداً

لاَأعْرف مَا أفكر فيه.

ولا أسْعَى إلَى أنْ أعْرف.

لاتَهمّني القَوافي، نَادِراً ماتوجَدَ
شَجَرتان مُتَسَاوِيتان، وَاحدة إزَاء الأخْرى.
أفكّر وأكْتُب عَلَى نَحْوِ ماتملك اللونَ الأزهارُ.
لَكِنْ. بإتقانٍ أقَلَّ فِي طريقة تَعْبيري.
تنقُصني البَساطة الإلاهيّة
لأكون بكَاملي مُجسَّداً فَحسْبُ في خَارِجيَّتي

أنْظر وَأهْتزّ
أهْتزّ اهْتِزَاز المَاءِ في جريانه على أرض منْحدرة،
وَمَا أكتبهُ طبيعيٌّ كما يَرْتَفِعُ ريحاً...

أستخدمُ القوافي عَفْواً
فِي أكْثر الأحْيان لاَأقفّي..
أحَاكِي الطبيعةَ ولا أسَائلُها.

(فِيمَ سَيَفيدني تِسَآلِي إيَّاها؟)
مَاكُلّ الأشْياء أرْضٌ سَهْلة
لِذَلك لاَأقفّي أحْياناً كثيرة.

الأغَاني الأرْبَعَ المُواليةُ،
تَنْأى عنْ كُلّ مَاأفكّرهُ،
تُكَذّبُ كُلَّ مَا أحِسُّ،
هِيَ نَقِيضُ مَا أنَا إيّاي...
كَتَبْتُها مَرِيضاً
لِذَلك طبيعيّةٌ هِيَ
مُطابقةٌ لِما أحِسّه
مُطابقةٌ لِما لَيْسَتْ مطابقةً له..
عنْدمَا أكُونَ مَريضاً أجْبَرُ عَلَى أنْ أفكّر
بِعَكْسِ مَا أفكّر عِنْدما أكُونُ صحيحاً.
(وإلاّ فَلَنْ أكوُن مريضاً)
وعليَّ أنْ أحِسَّ بِعَكْسِ مَا أحسُّ
عندمَا أكُون صحيحا،
عليَّ أنْ أكْذب عَلَى طبيعتي
كَمخْلُوق يَحِسُّ عَلَى نحو مُعيّن...
عليَّ أن أكون مَرِيضاً بالكَامِلِ : أفكاراً وأحاسيس
وُكلّ شيءٍ
حينمَا أمْرضُ، لا أمْرَضُ لشيء آخر.

لِذَلكَ فإنَّ الأغاني الّتي تَمْرق مِنّي
لَيْس بِوُسْعها التنكّر لي
فهيَ مَشْهدُ رُوحي في الليل.
نَفْسُ المَشْهد معكوساً.

16

لَيْتَ حَيَاتي كانتْ عَربةَ ثيرانٍ

تَأْتِي صارّة، في غَدَيَّةٍ باكرةٍ ، عَبْر الطريق.

وَإلى حَيْثُ أتَتْ، تَعودُ من بَعْد،

في اللّيل تقريباً عَلَى نَفْسِ الطريق.

لَنْ أجْبَرَ عَلَى امتلاك أمْنياتٍ ـ سيكون عَلي أنْ أمْلِكَ

عَجَلاتٍ وَحَسْبُ...

شَيْخوخَتي لَنْ يَكونَ لَهَا تجاعيدُ وَلاَ شَعر أبْيض..

عندما ينتهي دَوْري سيَنْزَعُون العجلات لي

وسأبْقى مَقْلوباً مَكْسوراً في قَاعٍ وَهْدَة.

وَرُبَّما يَصْنعُون منّي شيئاً مُخْتلفاً

فَلاَ أعْرِفُ شيئاً عَمَّا سَيَصْنَعونه بِي...

لَكِنْ أنَا لَسْتُ عَربةً ، أنَا مختلف،

بِم أنا مُختلف واقعيّاً؟ هذا مَالَنْ يَقولُوه لي أبداً.

بَعْدئذٍ سَتَنْمو الأعْشَابُ وَسَتُغَطّيني بالكامل...

ستمرُّ الأشجار، وَقَدْ زلْتُ من الوجود،

سَتَلْتَهِمني الأرض. أنَا الّذي كنتُ حديداً وَخَشباً

سَأغودُ إليْها،

سأمْضي رأساً إلَى قَلْبِ الأرْض مِثْلما الرّوح نحو المسيح.

17

أيّ خليط من **الطبيعة** في صحْني!

أخواتي النّباتات

رَفيقاتِ الينابيع، القدّيساتِ

اللاّئي لاأحد يُصَلّي لَهُنَّ...

ثمّ يُقْطَعْنَ وَيُؤتَى بِهنَّ إلَى مَا ئدتنا.

وفي الفَنَادِق ثمّةَ الزبناءُ الصّاخِبُون

اَلذين يَصِلُون بأحْزِمتهم،

يَطْلبون «سَلاَطة»، بِلاَمُبالاةٍ،

بدُون أنْ يفكِّروا فِي أنّهُمْ إنّما يطْلُبون من **الأمّ الأرض**

طَرَاوتَها وأبْنَاءها الأوَائل.

الكلماتِ الخضراء الأولى التي تملكُها،

الأشْيَاءَ الحيَّةَ القُزَحيّة

التي رَآهَا **نوح**

عِنْدَما انْخَفَضَت المِياهُ وظَهَرتْ

قِمَمُ الجبال الخضراء المغمورة بالفيضان

وتبدَّدَ قَوْسُ قُزَح

فِي الفَضاءِ الّذي ظهرتْ فِيه الحمامة...

18

لَيْتَني كُنْتَ غبارَ الطريق
تَدوسُني أقْدَامُ الفقَراء...

لَيْتَني كُنْتَ الأنْهار الجاريةَ،
والغسَّالاتُ منتشرة على ضَفَّتي.

لَيْتَني كُنْتَ شَجَيْرات الحَوْر فِي حَواشي النَّهْر
وَلَيْس لِي غَيْر السَّماء مِنْ فَوْقَ والماءُ تَحْتي...

لَيْتَنِي كُنْتَ حِمَارَ الطَّحَّان
وَهو يَسوطني ويُريدني...

لَيْتَني قَبْلَ ذَلكَ أكونُ مَنْ عَبْرَ الحَياةِ
يَمْضِي نَاظِراً خَلْفَ ذَاتِه شَاعِراً بالغمِّ...

19

عندَما يُطلّ القَمَر على العُشْبِ

لاأدْري بِأيّما أشْياء يُذَكِّرني..

بِصَوْت الخَادِمِ العجوز يُذَكّرني

وَهي تَقصّ عليَّ حِكاياتِ الجِنّيّاتِ،

وَكَيْف كَانَتِ **العذراء** تَسيرُ في ثياب المتسوّل

عَبْرَ الطّرقات

تَغيثُ المُعْتَدى عَلَيْهِ من الأطفال.

إنْ كُنتَ فَقَدْتَ الاعتقادَ

بحقيقة ذلك

فلِماذا يُطِلّ القمرُ عَلَى العُشْبِ؟

مَريضاً كَتَبْتَ هذه الأغنيَّاتِ الأرْبع.

هِي ذي مَكْتوبة لَسْتَ أفكّر إلاّ فيها

لِنَسْتَمتعْ، إنِ اسْتَطعْنَا، بِمَرضِنَا

لكن لانَحْسبَنّهُ أبَداً صحّةً

كما يَفْعَلُ النّاسُ.

عَيْبَ النّاسِ لَيْسَ فِي مَرَضِهِم :

بل في تَسْميتهم مَرَضَهُمْ صِحّة

لذلكَ لايبحثون عن العلاج

ولايَعْرفون فِي الواقع ما المَرَضُ ماالصّحة.

20

نَهْرُ **التَّاج** أجْمَلُ منَ النَّهر الذي يَمرّ بقَرْيتي،
لَكِنَّ **التاج** ليس بأحْسن من النهر الذي بقريتي يمرّ،
لأنَّ التاج لَيْسَ هُو النَّهرَ الذي يمرّ بقَرْيتي.

للتّاج سُفن كبيرة
تُبْحِرُ عَبْرَهُ،
بالنّسبة إلى منْ يَروْن في كلّ شيءٍ ماليْسَ مَوْجوداً،
ذَاكِرَةَ المَراكب الشراعية.

من إسبانيا يَنْحدِرُ التَّاجُ
وعَبْر البحر يَدْخل البرتغالَ
هَذا مايَعْرفه الجميعُ
لَكِنْ قليلونَ يَعْرفون نَهْرَ قَرْيتي
وإلى أيْنَ يَمْضِي
ومنْ أينَ يأتي،
لذلك، ولأنّه يَنْتَمي إلَى أناسٍ أقَلّ،
هُوَ أكْبَرُ وأكثر حُرِيَّةً.

من التَّاج نَمْضي عَبْرَ العَالَم
فيما وَرَاءَ التَّاج توجَدُ أمريكا

وَحظوظ مَنْ يَصِلْ إلى أمريكا.
مَامنْ أحدٍ فكّر أبداً فيما يُوجَد وَرَاء نَهْر قَرْيتي.

نَهْرْ قَرْيتي لايَجْعلني أفكّر في شيءٍ.
مَنْ يُوجَد عَلى ضَفّته يُوجَد فَحَسْب عَلَى ضَفّته.

21

لَوْ كَانَ بِوسْعي أنْ أعضَّ الأرْض بِتَمَامِها

وَأنْ أتَحسَّسَ طَعْمها،

لَوْ كَانتِ الأرْضُ شيئاً يُعضّ

لَكُنْتُ أكثر سَعادةً لِلَحْظةٍ...

غَيْرَ أنّني لاَأرْغَبُ دَائماً في السَعادة،

عَلَيَّ ألاّ أكونَ سعيداً أحياناً،

حتّى أستَطيع أنْ أكونَ طبيعيّاً...

الحَيَاةُ لَيْستْ كُلُّها نهاراتٍ مُشْمسةً،

والمَطرُ، عِنْدما يَنْدُرُ، يُصْبِحُ مطلوباً.

لِذَلك آخذُ السَّعادةَ والتَّعاسَةَ

مَأخَذاً طبيعيّاً، كَمَنْ لايَسْتغرِبُ

وُجودَ الجِبال والسُّهول

والصُّخور والعُشْبِ...

مايَنْقصُنا حقّاً هوَ أنْ نَكونَ طَبيعيين وَهَادِئين

فِي السَّعادة وفي التَّعَاسَة،

أن نُحِسَّ الأشياء، كَأنّنا نَرَاهَا

أنْ نفكّر كَما نَمْشِي،

وعندما مايحينُ المَوْتُ، عَلَيْنَا أنْ نتذكَّر أنَّ النهارَ يَموتُ،

وأنَّ الغروبَ جَميلٌ وكذلكَ الليل الّذي يَبْقى..

وإذا كَان ذلك هَكَذا ، فَلأنّه هَكَذا يَكون.

كَمَنْ يَفتَح بَابَ البَيْتِ فِي يَوْم صَيْفيٍّ

لِيرْصُدَ حَرَارة الحُقول بِكَامِلِ وَجْهِهِ،

تَصْفَعَني الطَّبيعة تَمَاماً، بغتةً،

عَلَى جُمَاع حَوَاسّي أحْياناً،

فأبْقَى قَلِقاً كَدِراً، رَاغباً فِي فَهْمِ

مَالَسْتُ أعرف جيّداً مَاهُوَ ولاكيف...

لِكِنْ مَنْ أوْحى إليَّ بالرغْبةِ في الفهْم؟

مَنْ قَالَ لِي بأنَّ عَليَّ أنْ أفْهَم؟

عندما يُمرِّرُ الصَّيْفُ عَلَى مُحيَّايَ

اليَدَ الخفيفة والحارَّةَ لِنَسيمِهِ

عَلَيَّ فَحَسْبُ أنْ أحِسَّ بالامْتِنان لأنَّها نَسيم

أو بالاسْتياء لأنَّها دَافئةٌ،

وَمَهْما كَانَتْ طَريقةُ إحْسَاسِي بها،

لأنني هكَذا أحِسُّها... هَكَذا هُوَ الإحسَاسُ بالأشياء.

23

نَظْرتي الزَّرقاء كالسَّماء
هَادِئةٌ كَالماءِ تَحْتَ الشَّمْسِ...
هِيَ هَكَذا ، زَرْقَاءُ وهَادِئةٌ
لا مُسَائِلةٌ ولا مُنْدَهشة.

لو سَاءلْتَ وانْدَهَشْتَ
لَـمَا وُلدتْ أزهارٌ جَديدةٌ فِي الحَدَائق،
وَلَـمَا كَانَتْ للشَّمس تلك التبدُّلاتَ نحو الأجْمل.
وَحَتَّى لَوْ وُلِدَتْ أزْهارٌ جَديدةٌ فِي الحديقة.
وتغيّرتِ الشَّمسُ نَحْوَ الأجْمل
سأحِسُّ أنَّ ثَمّةَ أزْهَاراً أقلَّ فِي الحديقة
وَسَأجِدُ الشّمْس أكثر دَمَامة...
لأنَّ الأشياء كُلَّها كائنةٌ كما هِيَ
وَهِيَ هَكَذَا كَماهِي،
وأنَا أقْبلُها، بِدُون امْتنانٍ،
حتّى لاأشْعرَ بِتفكيري فِيها.

24

مَا نَرَاهُ من الأشياء هو الأشْياء وَحْدها.
لِماذا يَجِبُ أنْ نَرى شيئاً آخر غيرَ الّذي أمَامنا.
إنْ كانتِ الرّؤية والسَّمْعُ رُؤْيةً وَسَمْعاً وحسب،
فَلِماذا نُسخّرْهُما لِخَداعِنا؟

الأمْرُ الجَوْهَريّ هُوَ أنْ نَعْرِفَ كَيْف نَرى،
أنْ نَعْرِفَ كَيفَ نَرَى بِدُون أنْ نفكّر،
أنْ نَرَى عنْدما نَرى
وألاّ نفكّر عنْدما نرى
ولاَ أنْ نرى عنْدما نفكّر

لكنّ هَذَا (مُغْتَمّون منْ ذَاوَاتنا نحن ذَوي الأرْواح الكاسية !)
يتطلّبُ دِرَاسةً مُعمّقةً،
تَعَلُّماً فِي اللاّتَعلُّم
وانْحِباساً فِي حُرّية ذَلكَ الدّيْر الّذي يَقُول عَنْهُ الشّعراء
إنّ النّجوم هُنّ الرّاهبات الخالداتُ فيهِ
والأزهار هُنَّ التائبات المنقطعات....
بينما النجُومُ فِي النّهاية لَيْسَتْ سِوَى نجوم
والأزهار لَيْسَتْ سِوَى أزْهار
ولِذلكَ أسْمَيْنَاهُنَّ أنجما وَأزَاهير.

فقاقيعُ الصَّابُون التي يَتَسلّى
هَذَا الصَّبيٌّ بإطْلاَقها
تُمثِّلُ بِشَفَافيَّةٍ فَلْسَفةً حقيقيّة
فَقَاقِيع نَقيّةٌ، غَيْرُ مُجْديةٍ، وعابرةٌ كالطبيعة،
فَقَاقِيع ـ صَديقَاتٌ للأعين كَمَا الأشياء،
هِيَ مَاهِيَ،
بإتِقَانٍ مُسْتَدير وَهَوائيّ،
ولا أحَد، حَتَّى الطّفل الّذي يُطْلِقها
يُحَاولُ أنْ تَكُون أكثَر ممّا يبْدو أنّها إيّاه.

منْها مَا بالكَادِ يُرَى فِي الهَواءِ الصَّافي،
هِي كالنَّسيم الّذي بالكَادِ يُلامِسُ الزّهور فِي هُبوبه
والّذي فَحَسْبُ نَعْرف أنّهُ يَمُرُّ
لأنّ شيئاً فِينَا يَخِفُّ
فَيَتَقَبّل كُلَّ شيْءٍ بِجَلاءٍ.

أحْياناً، في أيّام الضّوْء التّامّ والصّحيح،
حينما تَمْلِكُ الأشياءُ كُلَّ مَا باسْتِطَاعَتِها اِمْتلاكَهُ منْ واقعيّة،
أسَائِلُ نَفْسِي عَلَى مَهْلٍ
لِمَ لاَ أعْزو حتَّى الجَمَالَ للأشْياء؟

أتملِكُ الوَرْدةُ بالمصَادفة جَمالاً؟
والثمرَةُ أتملِكه بالمصادفةِ كذلك؟
كلاًّ : إنَّ لَهَا لَوْناً وشَكْلاً
وَوُجوداً فحَسْبُ.
الجمَالُ هُوَاسمٌ لِشيءٍ غَيْر مَوْجود
أنَا أمْنَحه لِلأشياء مُقابل ماتَمْنَحنيه منْ مُتعةٍ.
إذنْ ، إذا كانَ الجمال لايَعْني شيئاً،
لِماذا أقول عن الأشياءِ : إنَّها جميلة؟

أجَلْ، حتَّى أنَا الَّذي أحْيا فَحَسْب من فِعْل الحياةِ المحض،
تأتِي لاَمَرْئيّةً لِلقَائي أكاذيبُ البشر عن الأشياء
عن الأشياء المَوْجُودة وحسبُ ببساطة.
مَا أشقَّ أنْ تَكونَ ذَاتَك وَألاَّ تَرى إلاَّ مَا يُرى.

27

وحْدها الطبيْعة إلاهيةٌ وَغَيْر إلاهِيَّةٍ...

إذا مَا تحدّثْتُ عَنْها حَديثي عَنْ كائن حيٍّ
فلأنَّني بِحَاجةٍ لكي أتحدّثَ عَنْها إلِى استعمالِ لُغةِ البشر
ألّتي تُضْفِي الشَّخصيّة عَلَى الأشياءِ
وتَفرضُ أسْماءً عَلَى الأشياءِ.
لكنَّ الأشياءَ لاإِسْمَ لَهَا وَلاَ شخصيّة.
الأشياءُ موجودةٌ، والسَّماء كبيرةٌ والأرْضُ واسِعةٌ
وَقَلْبنا بِحَجْم قَبْضةٍ مَلْمومة...

حَمْداً لِي عَلَى كُلّ مَالاَ أعْلَم
ذلك هُوَ كُلُّ مَا أنَا حقّاً إِيَّاهُ،
بِهِ أسْتَمتع كَمَنْ هُنَا يوجَد تَحْت الشمس.

اليومَ قرأتُ صَفْحتين تقريباً
منْ كتاب شَاعرٍ مُتصوِّف،
فَضحِكْتُ مثْلَ منْ أفرَط فِي البكاءِ.
الشعراءُ المتصوِّفة فَلاَسِفةٌ
والفَلاسفة رِجالٌ مَجَانين.

لأنَّ الشعراء المتصوِّفة يَقولون بأنَّ للأزْهار إحْساساً
وأنَّ للحَجَر رُوحاً
وللأنْهار انْجذاباً للقمر.

لَكِنْ لَوْ كَانَ للأزْهار إحْساسٌ، لَمَا كَانَتْ أزْهاراً،
لَكَانتْ أشْخَاصاً؟
لَوْ كان لِلْحَجَر رُوحٌ، لَما كَانَ حَجراً،
لَكانَ شيئاً حيّاً ؛
وَلَوْ كَانَ للأنْهار انجذَابٌ نحو القمر،
لَكَانتْ مخلوقاتٍ مَريضة.

لابُدَّ من عَدَم مَعْرفةِ أنَّها أزْهارٌ وأحجارٌ وأنهارٌ
ليكون بوُسعنا الحديث عنْ أحَاسيسها.
الكلام عَنْ رُوح الحَجَر والزُّهور والأنْهارِ
هُوَ كَلاَمٌ عن الكَلام ذَاتِه وَعَنْ تصوُّراته المزيِّفه.

حَمْداً لِلَّهِ عَلَى أنَّ الأحجار أحْجارٌ وَكَفَى،

وأنَّ الأنهار ليستْ سِوى أنهار.

والأزهار لَيْسَتْ بِأَكْثَر منْ أزهار.

بالنِّسبة إليَّ حَسْبِي أنْ أكْتُبَ نَثْرَ أشْعارى

لأكُون مَسْروراً،

لأنَّني عَلِيمٌ بإدْراكي **للطبيعةِ** من الخَارج ؛

ولاَ أدْرِكُها من الدَّخل

لأنَّ **الطبيعة** لَيْسَ لَهَا دَاخِل ؛

وإلاَ لَما كَانتْ **طبيعة**.

لسْتَ الشَّخْص ذَاتَه دائماً فيما أقولُ وَمَا أكتبُ
أتغيَّرُ، لَكِنْ لاَ أتغيَّر كثيراً
لَوْن الأزْهار تَحْتَ ضَوْء الشَّمسِ
لَيْسَ باللون ذاتِهِ تَحْت الغمام
أومَعَ نزُول الليل
حَيْث تَصيرُ الأزْهارُ بلَوْن الذكرى

لكن منْ ينظرُ يَرَى جيّداً أنَّها نَفْسُ الأزْهار.
لذلك، عندما أبْدو غيرَ مُتطابِق مَعَ ذاتي،
عليكم أن تحدّقُوا فيَّ جيّداً:
إنْ كُنْتُ انعطفتُ إلى اليمين،
فقدِ انْعَطَفتُ الآنَ إلى اليَسار،
لكنَّني دَائما أنَاي، أقِفُ عَلَى القَدمين ذَاتَيْهما
أنَا دَائماً أنا، بفضل وُجودِ الأرْض
وبِفَضْل عَيْنيَّ وأذنيَّ المُتَنبّهتَيْن
والبَساطةِ الصافية لِرُوحي...

30

إنْ رَأيْتُم أنَّني أمْلِكُ نَوْعاً من التصوّف،
حَسناً، فلْيَكُنْ.
مُتَصوّفٌ أنَا، لَكِنْ بالجَسَدِ وَحْده
رُوحِي بَسِيطةٌ لاتعْرف التَّفكير.

تصوّفِي هُوَ عَدَمُ الرَّغبةِ في المعْرفةِ
هُوَ العَيْشُ بِدُون تفكير في أيِّ تصوّف.

لاأعْرفُ مَاهِيَ الطبيعة : أنَا أغنِّي الطبيعة
عَلَى قِمَّة رُبوةٍ أعيشُ
في منْزِلٍ مُجيَّرَ مُنْعَزل،
بِهَذا أتعرَّف.

31

إنْ قلْتَ أحْياناً إنّ الزّهور تَبْتَسِم

والأنهار تغنّي،

فَلَيْس لأنّني أعْتَقِدَ بِوجود ابْتِساماتِ لَدى الأزهار

ووجود أغانٍ في جريان الأنهار...

وإنّما لأنّني عَلَى هَذا النَّحو أجْعَل النّاسِ المزيّفين

يُحِسّونَ أكْثَر بالوجودِ الواقعي حقّاً لِلأزهار والأنهار.

لأنّني أكْتب كيما يَقرَؤوا تَضْحيتي أحْياناً

منْ أجْل بَلادَةِ حَواسّهِمْ...

لَسْتَ مُتّفقاً مَعي، لكنّني أغْفِر لِنَفْسي،

لأنّني لاَ أتقبّلَ الأمْرَ بِجِدِيَّة.

مَا أنَا إلاّ ذلكَ الشيء البغيض،

مُجرّدَ مفسّرٍ للطّبيعة؛

لأنّ ثمّةَ أنَاساً لايَفْهَمونَ لُغتها،

ولأنّها هِي لَيْست أيّ لُغةِ من اللّغات.

أمْسِ مَسَاءً كَانَ ثمة رَجلٌ من المدينةِ
يتحدَّثُ بباب الفنْدقِ
تحدَّثَ أيضاً مَعي،
عن العَدالةِ تحدَّثَ ، عن الصّراع منْ أجْل العَدَالة
عن العُمَّال الَّذين يُعَانون،
عَنِ العمَل المتَواصِل، عن الجائعين
وعَنِ الأغنياء الَّذينَ يُديرون الظَّهْر لِهذا كُلّه.
وإذْ نَظَرَ إليَّ رَأى الدُّموع فِي عينيَّ
فَابْتَسَم بَامْتنانِ ، ظانًا أنَّني أشْعُر
بالحقد الَّذي يَشْعر به هُو، وبالشَّفقةِ
التي قال إنَّه يشعر بها.

لكنَّني بالكَادِ كُنْتُ أنْصِتُ إليه
فيمَ يعْنِيني شَأنُ النّاس
ومَا يُعَانونَ أوْ يَفْتَرِضون أنّهم يُعانونه؛
لَوْ كَانُوا مِثْلِي لَمَا عَانَوْا منْ شيءٍ.
كُلُّ أذِيَّاتِ العَالمِ تأتِي منْ انشغالِ بَعْضِنا بالبعض الآخر.
سَوَاءٌ منْ أجْل فِعْل الخَيْر أو منْ أجل فعل الشَّر.
حَسْبُنَا رُوحنَا والأرْض والسَّماء.
أنْ نَرْغَب في أكثر منْ ذَلكَ يَعْني
أن نَفْقد مانملك، أنْ نَكُون تُعساء.

عندما كَانَ صَديقَ النَّاسِ يتحدَّثُ
(وَهو ما أثَّرَ فيَّ حدَّ البُكاء)
كنتُ أفكِّر
فِي أنَّ صَوْت أجراس القطْعانِ النَّائي
ذلكَ المَسَاءَ لَمْ يَكُنْ
صَوْتَ أجْراسِ كَنيسةٍ صغيرةٍ تَذْهَبُ إلى قُدَّاسِها
الأزهَارُ والقَطْعان والأروَاحُ البسيطةُ مثل رُوحِي.

فَلْأحْمَدِ اللّهَ عَلَى أنَّني لَسْتُ بالخَيِّرِ
وأنَّ لِي الأنَانيَّةَ الطبيعيَّةَ للأزهَارِ
والأنْهار : تُواصِلُ مَسيرَها
مُنْشَغِلةً وَحَسْبُ بِدُون أنْ تَعْلَم،
بالإزْهارِ والجريان.
هِي ذِي المهمَّة الوَحيدة في العالم :
أنْ نُوجَد وُجُوداً مَحْضاً
أن نَعْرف كيْف نَكُون مَوْجُودين بِدُون تفكير في الوجود.

أمَّا رَجُلَ المدينة فَقَدْ سَكَتَ ، نَاظِراً إلى الغُروب
لَكِنْ أيُّ صِلةٍ ممكنة بالغروب لِمَنْ يَكْرَهُ وَيَحبُّ؟!

مسكينةٌ أزْهار مَمَّرات الحَدائق المتقابلة

تَبْدُو كَأنَّ بَهَا خَوْفاً من الشرطة...

لَكِنَّها من الطيبة بِحَيْثُ تُزْهِرُ بالطريقة نَفْسها

وَلَها نفسُ اللَّوْنِ القَديم

الَّذي كَانَ لَهَا عنْدَمَا مَسَّتْهَا النظرةُ الأولى للأنسان الأوَّل

الَّذي رَأى ظهورها للتَّوّ فَمَسَّها مَسّاً خفيفاً

كَيْما يَرَاهَا بَأصَابعه...

34

عَدَمَ التفكير أمْرٌ طبيعيٌّ عنْدي
حتَّى أنَّني ، أحياناً، آخذُ فِي الضَّحِكِ لَوَحْدي،
منْ شيءٍ لا أعْرف مَاهو
لكنْ لَهُ علاقةٌ بِوجود أنَاسٍ يَفكِّرون...
بِمَ يَاترى يفكِّرُ جِدَارِي بِشَأنِ ظِلِّي؟
أسَائلني أحْياناً حتَّى لأبَاغِتَني
بأسْئلةٍ عَنْ أشْياء...
وَحينئذٍ أسْتَاء وأنْزَعِج
كَمَا لَوْ أنَّ إحْدَى قَدَميَّ تَنمَّلَتْ فجأةً...

مَاذَا يَفكِّرُ هَذَا بذَاكَ؟
لاشيْءَ يفكِّرُ بشيْءٍ.
أوَتملكُ الأرضُ وَعْياً بِنَبَاتَاتها وَأشْجارها؟
لَوِ امْتلكَتْ وَعْياً لَكانَتْ بَشراً ؛
ولو كانتْ بشراً، عَلَى شَاكِلةِ البشر ، لَمَا كانتْ أرْضاً.
لَكِنْ فيمَ يعْنِيني أنَا هَذَا الأمر؟
لَوْ فكَّرتُ فِي هَذِهِ الأشياء،
لَمَا كَانَ بِوسْعِي النَّظر إلى الأشجار والنَّباتات.
لَكَففْتُ إذَنْ عنِ النَّظر إلَى الأرْضِ
بِدون أنْ أرَى أبْعَدَ منْ أفكَاري،
وَلَغَدَوْتُ حزيناً ، غَيْرَ مُدْرِكٍ لشيءٍ
أمَّا هَكَذَا، بِدون تفكير فإنَّ الأرض والسَّماء
مِلْكُ يَدي.

35

القمرُ عَبْرَ الأغصان العَالية

هُوَ أكْثَرُ ـ يَقولُ جميع الشعراء ـ من

مُجرَّد قَمَرٍ عَبْرَ الأغصان العالية

لَكِنَّ القَمَرَ عَبْرَ الأغصَانِ العَالية،

عِنْدِي أنَا الَّذي لا أعْرِف ما أفكّر،

عِلاَوَةً عَلَى كَوْنِهِ

القَمَرَ عَبْرَ الأغصانِ العالية

لَيْسَ بأكثر من

القَمَرَ عَبْرَ الأغْصان العالية

36

ثمّةَ شعَراء فنّانون

ويشتغلون عَلى أبْيَاتهم

مثْل النّجّار على الطّاولات!

كَمْ هو محْزِنٌ ألاَ نعْرف الإزْهار!

أنْ يتوجّبَ عَلَيْنا وضْعُ البيتِ فَوْقَ البيتِ كَمَنْ يَشيدُ جِدَاراً،

وأنْ نَرى إنْ كَانَ جيّداً، أو نَحْذِفه إنْ لَمْ يَكُنْ كذلك!

مَعَ أنّ البَيْتَ الفَنّيَّ الأَوْحَد هُوَ الأرْض بكاملها

تتغيّرُ وَهِيَ دَائماً جيّدة ودَائماً هِيَ نَفْسُها.

أفكّر فِي هَذَا ، لاَكَمَنْ يُفكّر، وإنّما كَمَنْ لايفكّر.

وأنْظر إلى الأزهَار فأبْتَسِمُ...

لاَأعْرفُ إن كَانتْ تفهَمُني.

أوْ كُنْتَ أفْهَمُها

لكنّني أعْرفُ أنّ الحقيقَةَ كَائنةٌ فِيها وفيَّ

وفِي ألوهيّتنا المشتركة

بأنْ نَدَعَنَا نَمْضي وَنَحْيا عَبْرَ الأرْض.

بين أذْرُعِ الفصولِ الجَذِلَةِ

وَأنْ نَدَعَ الهَوَاءَ يُغنّي كَيْما يُنعسنَا

وألاَّ نَمْلك فِي أحْلاَمنا أحْلاَماً

من يَمْتلك الأزهارَ لَيْسَ بحاجة إلَى الله.

37

مثْل لَطْخةٍ كبيرةٍ لِنَارٍ وَسخةٍ
يَترجَّأ الغروبُ فِي الغيوم المُتبقّية
صَفيرٌ غَامِضٌ يأتي منْ بعيدٍ في المَسَاءِ الشَّديد الهُدوء.
صَفيرُ قِطَارٍ بعيدٍ لأَبَدٍ.

فِي هَذه اللَّحْظةِ تَنْتَابُني نوسطالجيّة مُبْهمة
مَعَ رَغْبَةٍ هَادِئةٍ
تَظْهَر ثم تَتَلاَشى
يَحْدَثُ أحياناً أيْضاً أنْ تتشكَّل
لِزَهرة الجَدَاولِ
فَقَاقِيع من مَاءٍ
تولَد ثُمَّ تَتَلاشى
بِدُون أنْ يكون لَهَا مَعْنى
أكْثر منْ كَوْنها فقاقيعَ منْ مَاءٍ
تولَد ثم تَتَلاشى.

38

طوبَى لِنَفْسِ شَمْسِ الأرَاضي الأخرى

الَّتي تَجْعَل من البشر كافَّةً إخوةً لِي

لأنَّ البَشَر جميعاً، خلال لحظة منْ نهارٍ،

ينظرونَ إليها مثْلَما أنْظر،

وفِي تِلْكَ اللَّحْظة الصَّافية

التي كُلّها نَقاءٌ وَحَسَاسيَّةٌ

يَعُودُونَ جزئيًّا

وبِتَنْهيدةٍ يُحِسُّونَها بالكَادِ

إلى **الإنسان** الحقيقي والبِدائي

الَّذي رَأى الشَّمسَ تَبْزُغُ وَلَمَّا يَكُنْ عَبَدَهَا بَعْدُ.

لأنَّ رُؤْيَتَهُ كَانَتْ طبيعيّةً ، أكثر طبيعيّةً

منْ عبادةِ الشَّمس ثم من عِبادةِ الله

ومنْ عبادة كلّ مَالَيْسَ لَهُ وُجودٌ بَعْدئذٍ.

39

سرّ الأشْياء، أيْن يوجَد؟

سرّ الأشْياءِ ، أيْن هو؟

لَيَس يَبْدوُ بالأقلّ لَنَا نَحْن باعْتباره سرّاً.

ماذا يعْرف النَّهر عَنْ هَذَا وَمَاذَا تَعْرف الشجرةَ؟

وَأنَا الَّذي لَسْتَ مخْتلفاً عَنْهما. ماذا أعرف؟

دَائماً حينما أنْظر إلى الأشياء مفكّراً

فيما يفكّر النَّاسُ بِشأنها

أضْحَكَ مثْل جدْولٍ يَتَرقْرَقَ بَارِداً على الحجر.

ذَلِكَ أنَّ المعنى الخفيَّ الوَحيدَ للأشياء

هُوَ خُلوُّها منْ أيِّ مَعْنى خَفيٍّ.

إنَّهُ لأغْربُ منْ كلّ الغرائب

ومنْ أحلام كلّ الشعراء،

ومنْ أفكار جميع الفلاسفة،

كَوْنُ الأشياء هِيَ فِي الواقع مَاهِي

ولَيْس ثَمَّة البتَّة مايُفْهم.

أجَلْ. هَذَا ما تَعلَّمَتْهُ حَواسّي وحدها :

لَيْسَ للْأشْيَاءِ مَعْنَى : لَهَا وُجودٌ وحسبُ

الأشْياء هِيَ المَعْنى الوحيد الخفيٌّ للأشْياء.

40

تمرُّ فَرَاشَةٌ أمَامي

وللمرَّة الأولَى في الكَوْنِ أتأكَّد

منْ أنَّ الفراشاتِ لا تَمْلِكَ لَوْناً وَلاَ حركةً

كذلك الأزْهَار لاعطْرَ لَهَا ولا لون.

اللَّوْنُ مَوْجودٌ فِي أجنحةِ الفراشاتِ،

مايتحرَّكُ فِي حركة الفراشَةِ هُوَ الحركةُ،

العِطْرُ هُو عِطْر الزَّهرةِ، لا الزهرة.

الفَراشَةُ فَحسْبُ فراشة

والزَّهرة زَهرةٌ فحسب.

41

أحْياناً، في أمَاسِي الصَّيْف،
يَبْدُو لِلَحْظَةٍ، أنَّ نسيماً خفيفاً يَهُبّ،
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ نسيم...

لكنَّ الأشجار تَبْقَى ساكنةً
بكلّ أشْكال أوْراقها،
حَواسُّنا كَانَتْ ضحيَّةَ وَهْمٍ إذَنْ،
لَقَدْ توهَمَتْ مَايرُوقها...

آهِ، لِحَواسِّنا، للحواسّ المريضةِ التي تَسْمَعُ وَتَرى!
لَوْ كُنَّا كَمَا يَجِبُ أنْ نَكُونَ،
لَوْ لَمْ تَكُنْ بناحاجةٌ إلى الوهم،
لَكَفَانَا أنْ نَحِسَّ الوجودَ بصَفَاءٍ وحياةٍ
بِدُونِ أنْ نَحفلَ بما منْ أجْلِهِ وُجِدتِ الحواسُّ...

لَكِنْ حَمْداً لِلّه عَلَى وُجُود النُّقصان في العالم
لأنَّ النُّقصان شيءٌ،
ووجودَ أُناس يخطئون شيءٌ آخر.
ووجود أُنَاس مَرْضَى يَجْعَل العَالم أكبر.
لَوْ لَمْ يُوجَد النقصان، لكانَ ثمة شيء ينقُصنا.
لاَبُدَّ منْ وُجُود الكثير الكثير من الأشياء طَالما نحْن نَرى ونسْمع...

42

عَبْرَ الطَّريق مَرَّتِ العَجَلة وَمضَتْ

وَلَمْ تَصِر الطَّريقُ لاَ أجْمَلَ ولاَحتَّى أقْبَحَ مِمَّا كانتْ.

كذلكَ هُوَ الفِعْلُ الإنْساني في العَالم.

لاشيءَ نَنْزَعُهُ ولاشيْءَ نَضَعُه، نمُرُّ فَنَنْسى ؛

فِيما الشَّمْسُ عَلَى مَوْعدها دائماً فِي كلِّ الأيَّام.

تَحلِيقُ الطَّائر الَّذي يَمُرُّ ولايَتْرُكُ أثراً
وقَبْلَه خُطْوة الحَيَوان الَّذي يَتْركُ ذِكْرى في الأَرْض
يَمُرُّ الطَّائر، مَحْضَ نسيان، كما ينبغي أن يكون
والحيوانُ، حيث انْتفَى وُجودُه، يَظْهرُ أثَر وُجوده،
وَهو مَا لايُفيدُ فِي شيء.

التذكّر **خيانة للطبيعة**
لأنَّ طبيعة أمْسِ، ليستْ **طبيعة**.
مَامَضى لَيْسَ بشيءٍ. في التذكر إبْطَالٌ للرُّؤْية.

مُرَّ أيّها الطَّائر، مرَّ . وعلّمني كَيْف أمُرُّ

أسْتَيْقِظ فجأةً فِي الَّليْلِ،
بيْنما سَاعتي تَمْلأ الَّليْلَ كُلَّهُ،
لا أشْعر **بالطبيعة** في الخَارج
غرْفتي شيءٌ غَامِضٌ بِجُدْرَانٍ غَامِضَةِ البَيَاض.
ثَمّةَ سكينةٌ فِي الخَارج كَأنْ لاشيءَ مَوْجودْ
وَحْدَهَا السَّاعةُ توالِي دَقَّاتها
وهَذا الشيء الصغيرُ من المسَنَّنات فَوْقَ طَاوِلتي
يَخْنَق كَلَّ وُجود الأرْض والسَّماء...
أكَادُ أضيعُ إذْ أفكِّر فِيما يعْنيه هَذا،
لَكِنَّني أتوقَّفُ، فأحِسّ بِي مُبْتَسماً فِي الَّليْل
بمَقْرنِي الشَّفَتَيْن،
لأنَّ الشيءَ الوحيدَ الذي تَرْمُز إليهِ سَاعتي أو تَعْنيه
فيما هِيَ تملأ الليل الهائل بصغرها،
هُو الإحْسَاسُ المُدْهِش بِكَونها تملأ الَّليْلَ الهائلَ
بذلك الصِّغَر.
وهو إحْساسٌ مُدْهِشٌ لأنَّهُ خَاصٌ فحسبُ عنْدِي
بِمَنْ يمْلأ الَّليْل بصغره...

ثَمّةَ صَفٌّ أشجارٍ هُنَالِكَ فِي البَعيد ، عَبْر المنحدر.
لَكِنْ مَامَعنى صَفّ أشجار؟ ثمّةَ أشجارٌ وَحَسْبْ.
يالأرْواح البشر الحزانَى الّتي تَضْفي النّظامَ علَى كلّ شيء.
وتضَعُ خَطوطاً فاصلةً بينَ شيءٍ وشيءٍ،
تَضَعُ لافتاتٍ بأسماءَ للأشْجَار الواقعيّة على نَحْوٍ مطْلَق،
وترْسُمُ توازياتِ العَرْض والطّول
عَلَى نَفْسِ الأرْض النقيّة والأكثر اخضراراً وإزهاراً منْ هذا...

بهذه الطريقةِ أو تلْكَ،

أوصِلُ لاَ إراديًا كتابةَ أشعاري.

باقتدارٍ أحياناً،

وبكيفيّة سيّئة ومُشوّشة أحياناً،

كَمَا لَوْ كانت الكتابةَ شيئاً مُكَوّناً مِنْ حركات.

كما لَوْ أنّ الكتابة أشبه ما تكونُ

بِفِعْلِ تعرّضي للشّمس.

أحاول أنْ أقولَ ما أحِسّ

بدون تفكير فيما أحسّ

أحاوِل تَقْريبَ الكَلمات من الفكرةِ

ولا أحتاج إلى مَمَرٍّ

من التّفكير إلى الكلمات.

لاأتوصّلُ دائماً إلى الإحساس بما أعْرف أنّ عليّ أنْ أحِسّه.

تفْكيري سابِحاً يقْطع النَهْر بِبطْءٍ شديد

لأنّهُ مُثْقلٌ بالبدلة التي ألْزَمهُ النّاسُ بارتدائها.

أحاوِل التجرّدَ مِمّا تعلّمتُ

أحَاوِلُ نِسيانَ نمطِ التّذكر الذي عَلّمونيه،

وكَشْط الحِبْر الذي بِهِ رَسَمُوا حَواسّي،

تَحْريرَ انفعالاتي الحقّة،

أحَاوِلُ أنْ أتصفَّى، أنْ أكونَ، لا **ألبرطوكاييرو**.
ولَكِنْ حَيَواناً إنسانيًّا أنْجَبَتْهُ **الطبيعة**

وهَكَذَا أكتب، رَاغباً في الإحْساس بالطبيعةِ ، ولا حتَّى، كإنْسانٍ،

بَلْ كَمَنْ يَحِسّ الطبيعة ، لَيْسَ غَيْر
وهَكذا أكتب، إمَّا مُجيداً، وإمَّا مُسيئاً
تَارةً أصيبُ فيما أرْغَب في التَّعْبير عَنْه، وتارةً أخْطِئُ هَدَفي.
مُتعثِّراً هُنَا، نَاهِضاً هُنَاكَ.
لَكِنْ مُوَاصِلاً أبداً طريقي مِثْل أعْمَى عنيد

بهذه الطريقة، كَذلكَ أنَا أحَدما.
أنا مُكْتَشِفُ الطبيعةِ
أنَا أخطبُوط الأحَاسِيس الحقيقية.
أحمل إلَى الكَوْنِ كوناً جديداً
لأنَّني أحْمِلُ إلَى **الكون** الكون نفْسه.
هَذا مَا أحِسّه وَهذا مَا أكْتُبه
بإتقانٍ عَارفاً وَبدون استخدام نَظَر
أنّها الخامسة صباحاً
وأنَّ الشَّمسَ وَلَوْ لَمْ تَبْرُزْ هَامَتَها بَعْدَ
عَبْرَ جِدَار الأفق،
فإنَّ رؤوس أصَابعها تُرى
عَلى أعَالي جدار الأفق المُكْتَظّ بالجبال الخفيضة.

ذَاتَ نَهارٍ مُغْرٍ، لِفَرْط صَفائه،

بأَنْ يَكُونَ الوَاحِدَ منَّا قدْ تَخلَّصَ منْ كلّ الأعْمال

حتّى لا يقوم بأيّ عَمَل،

وكَمَا لَوْ في مَمَرّ بين الأشجار،

لَمَحْتَ **السّرّ الأعظم** رُبَّما،

ذَلكَ **السرّ** الذي يتحدّث عَنْهُ الشّعراء المزيَّفون

رأيْتَ أنَّ الطبيعة غَيْرُ موجودة،

أنَّ ثَمَّةَ جبالاً ، أوْ دية، سُهُولاً

أنَّ ثَمَّةَ أشجاراً، أزهَاراً، نباتاتٍ،

أنَّ ثَمَّةَ أنْهَاراً وأحْجاراً،

لَكِنْ بِدُون وُجودِ كلّ تَؤول إليه.

ورَأيتَ أنَّ وُجودَ كلّ وَاقعيّ وحقيقيّ

إنّما هو مَرَضٌ من أمْراض أفْكَارنا.

الطبيعة أجْزاء بدُون كلّ.

هَذَا رُبّما هو **السّرُّ** الذي عَنْه يتحدَّثون

هُوَ مَا ينبغي أنْ يَكونَ الحقيقة، وَهُو ماتوَصَّلْتَ إليه

بِدُون تفكير ولاَ إبْطَاء

وفيما الجميع يُضْنيهم البحث عنه دون التَّوصّل إلى شيء،

وحْدِي، لكوني لَمْ أبحث عنه ، إليْه توصّلت.

(1) عنقريط : Argonouta

48

مِنْ أعْلَى نَافذةٍ في منْزلي
مُلوّحاً بمنديل أبْيضَ أقولُ وَدَاعاً
لأشْعاري وَهيَ تَرْحل صوْبَ الإنسانية.

لَسْتُ بالفرح ولاَ بالحزين
ذلك هُو مَصيرُ الأشعار.
لَقَدْ كتبتُها وَعليَّ أنْ أعْرضها عَلَى الجميع
إذْ لَيْسَ بوُسْعي أنْ أفْعَل العَكْس،
مِثْلما الزهرة ليس بوسعها إخفاءُ لَوْنها
ولا النهر بوُسْعه إخفاءُ مَجْراهُ
ولا الشجرةُ إخْفاءُ إثْمَارِها.

أنْظرُوا كَيْفَ ذهَبتْ بعيداً ، مثلما في عربة
وأنا لاَإراديّاً أشْعر بالحَزْنِ
شُعوري بألمٍ في الجِسْم.

منْ يَدْري منْ سيقرؤها؟
وإلَى أيِّ أيْدٍ سَتَتَّجِه؟
زَهْرةٌ أنَا اختارني القدرُ لتَرانِي الأعين،
شجرةٌ اقتلعوا ثماري منْ أجْلِ الأفواه،
نهرٌ أنَا، قَدَرَ مِيَاهي ألاَ تمْكث فيَّ.
وَإذْ أسْتَسْلِمُ أحِسُّ أنّني فَرْحَان تقريباً،
فَرْحان تقريباً، كَمَنْ تعِب من كونه حزيناً.

فَلْتُفَارقيني أَيَّتها الأَشْعَار!

فالشجرةُ تَمْضى وتمكث مَنْثورةً عَبْرَ **الطبيعة**.

والزهرةُ تَذْوِي وَغُبارُهَا بَاقٍ على الدَّوام،

والنَّهر يجري لِيَصُبَّ في البَحْر ومياهه دائماً نفْس المياه.

وَأَنَا عَابِرٌ لأَبْقَى . مِثْلَما **الكون**.

أدْخل وأغلقُ النَّافذة

يأتونَني بالشَّمعة مُتَمنّين لِي : ليلة سعيدة

وَصَوتي الجذْلان يَرُدُّ التحيّة.

لَيْتَ حيَاتي دَائما هكذا :

النَّهار إمَّا مُشمِس، أوْ نَاعِم المطر،

أوْ عَاصفٌ كَمَا لَوْ كَانَتْ نهايةَ العَالَم،

المسَاء الناعم والشرائط التي تمرُّ

مَرْئيةً باهتمامٍ من النَّافذة.

النّظرة الصّديقةُ الأخيرةُ إلى سُكون الأشجار.

وبعدَئذٍ، وَقَدْ أغْلقتِ النافذةُ، إشْعَالُ الشّمعة،

لاقِراءةَ، لاتفكير في شيءٍ، لانَوْم،

فقط أنْ أحِسَّ الحياةَ عَبْري تجْري جريانَ نَهْرٍ في وَاديه،

بينَما في الخَارج يُهَيْمِنُ سُكونٌ هَائلٌ مِثْل **إلاه** ينام.

الراعـــي

العاشـــق

عَاليآ يَمْضي قمرَ الرَّبيع في السَّماء
أفكّر فيك حَاسّآ بأنّني كَاملٌ بِدَاخلي.

ثمّةَ عَبْر الحقول المعتمة نَسيمٌ خَفيف يهبّ باتّجاهي
أفكّرفيكِ سعيدٌ أنَا أتمتِمُ باسْمِك، بدُون أنْ أكون أنَايَ

غداً تجيئين، معِي تسيرين قاطِفةً زَهوراً من الحقل،
وأنَا مَعَك سأسيرُ عَبْر الحقول أراكِ تقطفين الزهور.
هَا أنَذَا أراكِ غَداً تقطفين معِي زَهوراً في الحُقول،
لَكِنْ حينما يَأتي الغدُ وتمشين بالفعل معِي وأنت تقطفين
زَهوراً،
سَيكَون ذَلكَ مُفرِحاً، حَدَثاً جديداً بالنِّسبة إليَّ.

أمْضيتَ اللّيلَ كُلّه بدُون أن أعْرفَ النَّوم،
نَاظراً إلى صُورَتها منْ غَيْر مَدَى،
نَاظراً إليها دائماً بطُرقٍ مختلفةٍ،
أصُوغُ تَصوُّراتِ منْ تذكري إيَّاها عِنْدما تُكلّمني.
وَهِي تتغيَّرُ مَعَ كُلّ فكرةٍ بتطابقٍ مَعَ شَبَهِها.
أنْ أحبّ هُو أنْ أفكّر.
وأنَا تقريباً نَسيتَ الإحساسَ فَحسْبَ بالتَّفكير فيها.
لأَعْرِفَ جيّداً مَا أريد، حتَّى منْها. لا أفكّر إلاّ فيها.
أحِسّ بتسليّة كبيرةٍ محفِّزة.
عندما أرغب في لقائها

أكَادُ أفضّل عَدَم لقائها،

حتَّى لا أجْبَرَ عَلَى هَجْرِها منْ بَعْدُ.

وأفضّل أن أفكّر فيها لأنَّ بي خوفاً أكيداً ممَّا يمكنُ أنْ تَكونَه بالفعل.

لا أعرفُ جيّداً ما أريدُ وَلاَ حتَّى أريدُ مَعْرِفَةَ ما أريد.

أريدُ فَحَسْبُ التفكير فيها،

وألا أطلبَ شيئاً من أحدٍ ولا حتَّى منْها، غَيْر التفكير.

ما الحبّ إلاَّ رُفْقة.

مَاعُدْتُ أعْرفُ السَّيْرَ وَحْدى عَبْرَ الطّرقات

لأنَّني لَمْ أعُدْ قَادِراً عَلَى السَّيْر وَحْدي.

مجرَّدُ تفكير مرئيٌ يجْعل سيْري أسْرع،

ورُؤيتي أقلّ ، بينما سيْري رَائياً كلّ شيءٍ هُوَ مَا يَرُوقني.

حتى غيابُها هُوَ شيءٌ مَوْجودٌ برُفْقتي.

أنَا شغوفٌ بِها بحيثُ لاَ أعْرف كيف أرْغب فيها

إذا لَمْ أرَها، أتخيلها، قَويٌ أنَا كالأشجار العالية

لَكِنْ إنْ قدّرلي أنْ أرَاهَا سَأرْتجف لامحالة.

لا أدْري مَاصَنَعْوه بإحساسي فِي غيابها.

أنَا بكاملي قوّةٌ تتخلّى عنّي.

الواقع كلّه ينْظرُ إليّ مِثْل عَبَّاد شمسٍ بوجهه...

الآن أستيقظ كلَّ يَوْم فَرِحاً وحزيناً.

منْ قَبْلُ كنتُ أستيقظ بِدون أيّ إحساسٍ . أستيقظ وحسبُ.

اليوم أنَا فَرِحٌ حزينٌ لأنَّني أضيّع مَا أحْلم.

ولأنَّ بِوُسْعي أنْ أوجَد فِي الواقع الذي فيهِ يُوجَد ما أحلُمه.

لاَأعْرف ماأصْنَع بأحَاسيسي،

لا أعْرفُ ما أصْنَعُ بِوُجودي وحيداً.

أرِيدها هي أنْ تَطْلُب منِّي الاستيقاظ منْ جديد.

كلُّ منْ يُحبّ مختلفٌ عَمَّنْ هُو إياه.

هُوَ الشَّخْصُ نَفْسُه بلا أحد.

قصائد
غير
متجانسة

لاَيَكْفي أنْ نَفْتَح النَّافذة
كَيْما نَرى النَّهْر والحَقول.
لاَيَكْفي ألاَّ نَكونَ عمْياناً
كَيْما نَرَى الأشْجَار والأزْهَار.
عَلَيْنَا أيْضاً ألاَّ نملكَ أيَّ فَلْسفة.
مَعَ الفَلْسَفة، لاتوجد أشْجارٌ. توجد أفْكارٌ وَحَسْب.
يُوجَدُ فَحَسبُ كُلُّ وَاحِدٍ منَّا ، مثل قَبْو.
هُناك فَحَسبُ نافذةٌ واحدةٌ مغلقَةٌ. هَنَاك العَالمُ كُلّه في الخارج.
وَهُنَاك حُلمُ مايُمكنُ أنْ يُرى إذا مافُتِحت النَّافذة.
وَهو مَا لايُرَى أبداً عنْدما تُفْتَحُ النَّافذة.

تتكلّمُ عن الحضارة تقول لاحَاجةَ إلى وُجودها
أوْلاَ حَاجَةَ إلى وُجودِهَا عَلَى هَذا النَّحو،
تقولُ إنَّ الجميع أو أغْلب النَّاس يُعانون
الأشْياء الإنسانية المتَّصلة بالحضارة.
تقول لَوْكَانُوا مُخْتَلفين لَعَانوْا أقلَّ
تَقولُ لَوْ كَانوا كما تريدُ هُمْ أنْت ، لَكانَ أحْسن

أنْصتُ بدون أنْ أسْمَعك
لِماذا تُريدُني أنْ أسْمعك!
لَوْ سَمِعْتُك لانتهَيْتُ إلى عَدَم مَعْرفة شيء.
لو كانتِ الأشياء مُختلفةً. لكانَ عَلَيْها أنْ تكونَ مختلفةً.
هَذَا كُلُّ شيء.

لو كانتِ الأشياءُ كما تُريدها أنت لَكَانَتْ فحسبُ كما تُريدُها.

آه منْكَ وَمِنْ جميع مَنْ يَقْضِي الحياةَ

راغباً في اختراعِ الآلة التي تَصْنَعُ السَّعادة!

بينَ مايَظْهَرُ لِي منْ حَقْلٍ، وَمَا أرَاهُ منْ حَقْلٍ آخر

تمرُّ، للحظةٍ، هيأةُ رَجُل.

خَطَواتُهُ مَعَهُ تَمُرُّ في نَفْسِ **الواقع**،

غير أنّني لَمْ أمْعِنِ النَّظر إليه وإلى خَطَواته، فهما شيئا اثنَان.

الرّجل يَمْضى سائراً صُحْبَةَ أفكاره، زَائفاً، أجْنبيّاً،

فيما الخطواتُ تَمضى وِفْقَ القَانُون القديم

الذي يَجْعلُ الخطواتِ تَخْطُو.

أنْظرُ منْ بعيدٍ إليهِ بِدُون إبْداءِ رَأْي.

كَمْ هُوَ مُتْقَنٌ فيهِ مَابِهِ هُو كَائنٌ : جَسَدُه،

وَاقِعُهُ الحقيقيُّ الّذي لارغباتِ لديه وَلاَ أمان.

وإنّما عضلات فَحَسْبُ، مَعَ الكيفيَّة الأكيدةِ

واللاّشَخْصيّة لاسْتِخدام العضلات.

أيّها الطّفْلُ المجهول والمتّسِخ اللاّعِبُ ببِابي.

لا أسْألك إنْ كنتَ تَحْمِلُ إليَّ "حزمة" الرُّمُوز.

لَقَدْ أعْجِبْتُ بِكَ لأنّني لَمْ أرَكَ قَطّ منْ قَبْلُ،

وبالطّبْع، لَوْ أمْكَنَك أنْ تَكونَ نظيفاً، لَكُنْتَ طفلاً آخر.

وَلَمّا أتَيْتَ إلى هُنَا.

إلْعَبْ فِي الغُبار، إلْعَبْ،
أنَا أثِّمِنْ حَضورك بالعينين وَحْدهُما
رؤْيَة الأشياء دائماً للمرَّةِ الأولى
خَيْرٌ من مَعْرِفَتها،
لأنَّ مَعْرِفتَها تَعْنِي عَدَمَ رُؤْيتها قَطُّ للمرَّة الأولى.
وعَدَمَ رُؤيتها للمرَّة الأولى يَعْني السَّماع فَحَسْب
عَمَّنْ يَحْكي عنها.

قذَارةُ هَذَا الطفل مختلفةٌ
عَنْ قَذَارةِ الآخرين.
إلْعَبْ! لَوْ أخَذْتَ حَجراً تَسعُه اليَدُ
فلأنَّكَ تَعْرفُ أنَّ اليَدَ تَسعُه.
أيُّ الفَلْسَفَاتِ يَبْلغ أعْلَى دَرَجاتِ اليقين؟
ولا واحدةٌ، ولاواحدةٌ أبداً بِوُسْعها أنْ تأتِيَ لِتَلْعَبَ بِبَابي.

حقيقةٌ، كذِبٌ يقينٌ، شكٌّ...
ذَلِكَ الأعْمَى هُنَالِكَ في الطَّريقِ أيْضاً يَعْرفُ هَذِه الكَلِماتِ.
بأعْلى الدَّرج جَالسٌ أنَا وَيَداي مَضْغوطتان
فَوْقَ الرُكبتين المتقاطعتين.
حَسَناً : مامَعْنَى حقيقة، كذب، يقين، شك..
الأعْمَى يَتوقَّفَ في الطريق،
يَدَايَ فَصَلْتهما عَن الرُّكبتين.
حقيقة، كذبٌ يقينٌ، شكٌّ... مَاهِيَ... أهِيَ نَفْسُها بالفعل؟

فِي جهةِ مامن الواقع شيءٌ ثَمّةَ قدْ تغيّر :
رُكبتايَ ويَداى.

أيِّ عِلْمٍ يملكُ مَعْرفةً بهذهِ الأمور؟
الأعْمَى يُواصلُ طريقهُ وَأنَا لاأقومُ بمَزيدِ من الحركاتِ
الآنَ لَمْ تَعُدِ السَّاعةُ نَفْسَ السَّاعة، ولا النَّاسُ نَفْسَ الناس،
ولا شيءَ كما كان...
مَامِنْ **واقعيٌّ** إلاّ هذا.

في أجْواءِ الطريقِ ثَمةَ قَهْقَهةُ صبيّةٍ تَرِنُّ.
لَقَدْ ضحِكتْ منْ كَلامِ شَخْصٍ لاَ أراه.
أذكُرُ أنَّني سَمِعْتُها.
لكنْ لَوْ حَدَّثوني الآنَ عَنْ قَهْقَهةِ فَتاة الطريق
لَقلتُ : لايعنيني.... وحدَها الجبالُ، الأراضي تحت الشَّمسِ،
المَنْزل هنا،
وَأنا، أنَا منْ يَسْمَعُ فَحَسْبُ الضَّوْضَاء الخَرْسَاءَ لِدَمِ حَياتِي
السّاري فِي جانبي الرأسي كِلَيْهما.

ليلة سان خوان فِيما وَرَاءَ حَائط حديقتي.
فِي هَذّ النَّاحية أنَا مَوْجودٌ منْ غير ليلة **سَانْ خوان**.
لأنَّ سان خوان موجودٌ حيث يَحْتَفلونَ به.
بالنّسبة إليَّ هُنالِكَ ضوءُ محرقاتِ في الليل.
صَخَبُ قَهْقَهاتٍ، خَبْطَاتُ الوثبات.

وهُنالِكَ صَيْحَةُ طَارِئة مِمَّن لاَيَعْرِف أنّني مَوْجود.

أمْسِ تَحدَّثَ إليَّ منْ جديد

دَاعيةُ الحَقائق عَنْ حقائقه،

عَنْ مُعَانَاةِ الطبقة الشّغيلة تحدث

(وليس عن الأشْخَاص الَّذين يُعانون، وَهُمْ فِي النهاية مَنْ يُعاني)

تحدَّثَ عَنْ الظّلْمِ المجسَّدِ في وُجودِ أنَاسٍ يملكون المالَ،

وآخرين جَائعين، لاَ أدْرِي أمن جُوعِ الأكل

أمْ فقط منْ جوع حَلْواء الغَيْر.

لَقَدْ تحدَّثَ عن كلّ ما اسْتَثَار غَضَبه.

مَا أسْعَدَ منْ يَسْتَطيعُ التفكير فِي تَعَاسةِ الآخرين!

يالَهُ منْ غبيٌّ إنْ لَمْ يَعْلَمْ أنَّ تعاسةَ الآخرين تَعَاسَتُه

وأنَّها لاتَدَاوَى من خَارج.

لأنَّ المعاناةَ لَيْستَ هِي التوفُّر عَلَى الحَاجة إلى الحِبْر

أوْ كَون التَّابوت لايتوفَّرُ عَلى إطاراتٍ منْ فولاذ!

وُجودُ الظّلْمِ مثْل وَجُودِ المَوْت

وأنا لَنْ أقومَ أبداً بأيِّ خُطوةٍ لتغيير

مَايَدْعُونَه الظلم السَّائد فِي العَالم.

الخطواتِ الألْف التي سأخْطُوها منْ أجْل ذلك

ستكون خطواتٍ ألفاً وحَسْبُ.

أتقبَّلُ الظُّلْمَ تَقبُّلي ألاَّ يَكون الحجر مسْتَديراً
أوْ كَون شجرةٍ فِلّين ليسَتْ صَنَوْبراً أو بَلّوطاً.

البُرْتقالة شَطَرتها إلى نِصْفَين،
مَاكانَ بوُسْعهما أنْ يَبْقيا مُتَساويين
فلماذاَ أعَدُّ ظَالِمًا، أنَا الَّذي ساكل النّصْفين؟
مَاذَا؟ أ أ سَاوي أكثر منْ زَهْرة
لأنَّها لاتعْرِفُ أنَّ لَهَا لَوْناً وَأنَا أعْرف،
لأنَّها لاتَعْرِفُ أنَّ لَهَا عِطْراً وَأنَا أعْرف،
لأنَّها عَديمةُ الوَعْي بي وَأنَا لديَّ بِهَا وعي؟
لَكِنْ مَا عَلاَقَةُ هَذَا الشيء بذاك
ليَكُونَ أرْفَع منْهُ أوْ أدْنَى؟

أجْل لديَّ وَعْيٌ بالنَّبات، وهو لاوَعْيَ لَدَيْه بي،
لَكِنْ إذَا كَانَ شَكْلُ الوَعْي هُو امْتلاك الوَعي،
فَأيُّ ضَيْرٍ فِي ذَلكَ؟

لَوْ نطقتِ الوردةُ لَقَالَتْ لي : وَمَاذَا عَنْ عِطْركَ أنتَ؟
وَلَقَالَتْ لي : أنْتَ مَالِكُ وَعْي لأن الوعي
مُزِيَّةٌ إنسانيَّةٌ
وَأنَا لا أمْلِكهُ فقط لأنَّني وَرْدةٌ وإلاَّ كُنْتُ إنسيّةٌ.
أنا أمْلِكُ عِطْراً أنْتَ لاتملكهُ ، لأنَّني وردة...

لَكِنْ لماذَا أفْتني الوَرْد، أنَا ألّذي هُوَ أنَا
والورْدُ هُوَ الورْدُ.
آهِ، لِنَكُفّ عن الْمقارناتِ، لِنكْتفِ بالنَّظر.
لِنَدَعِ التّحليلاتِ، الاسْتعاراتِ، الْمشَابهات،
مُقَارنةُ شيءٍ بآخَرَ هُوَ تَجَاهُل (1) لِذَلك الشيء.
مَامِنْ شيءٍ يُذكّر بآخر لَوْ أمْعَنَّا النّظر.
كلُّ شيءٍ يذكّرُ بِما هُو إيّاه
وَهو فَحَسْبُ مَاهُو.
يَفْصِلُه عَنِ الأشْياءِ الأخْرى أنَّهُ هُوَ هُو.

أنْتَ أيُّها المتصوِّف، تَرَى المَعْنَى فِي كلّ شيءٍ.
لِكُلّ شيءٍ لَدَيْك مَعْنَى مَحْجُوب
ثَمةَّ دائماً شيْءٌ خَفيٌّ فِي كلّ مَا تَراهُ.
وَمَا تَراه تَراهُ دائماً منْ أجْلِ رُؤيةِ شيءٍ آخر.

وأنَا، بِفَضْل امْتلاكي عَيْنَين فَقَط لأرَى بِهما،
أرَى غيابَ الْمعْنى فِي كُلّ الأشياءِ؛
وأحبُّ هَذَا الغياب لأنّ وُجودَ الشيء هو أنّه لايعني أيَّ شيءٍ.
وُجُود الأشياء يَعْني أنّها لا تَقْبَلُ أيَّ تفسير.

يَارَاعِيَ الجَبَل - بَعيدٌ جداً عنّي أنتَ بِنعاجك -
أيُّ سَعَادةٍ تِلْكَ الّتي يَبْدُو أنّكَ تَمْلكُها: سَعَادتُك أمْ سَعَادتي؟

---
(1) حرفيا: نسيان أو تناس

والسَّلامَ الَّذي يغمرني عندما أراكَ، إليَّ ينتمي أمْ إليك؟
كلاَّ، لاَ إلَيْكَ وَلاَ إليَّ، أيُّها الرَّاعي.
فقط إلَى السَّعادةِ والسّلاَم تَنْتَمي السَّعادةُ والسَّلام.
أنت لاتملكُها، لأنَّك لاتَعْرِف أنَّك تَمْلِكُهَا
ولا أنَا أمْلِكُهَا، لأنَّني أعْرِف أنَّني أمْلِكُها.
أمَّا السَّلام فهُو فحسْبُ مَاهُو، وَهَو يَنْزِلُ عَلَيْنَا مِثْلما الشمس،
تَقَعُ عَلَى كَاهِلِكَ فَتُدفئكَ، فِيما أنْتَ
تُفكِّر بَلاَ مُبَالاةٍ فِي شيءٍ آخر.
وَتَقَعُ عَلَى وَجْهِي فتعْميني، فِيما أنا فحَسْبُ أفكِّر فِي الشَّمس.

نَعَمْ، قَدْ يَكُونُونَ عَلَى صَوَاب.
فِي كُلِّ شيءٍ، ثَمَّةَ ربَّما شيءٌ خفيٌّ
لكنَّ ذَلكَ الشيءَ الخفيَّ
هُوَ الشيءُ نَفْسُه بِدون أنْ يَكُونَ خفيّاً.
فِي النَّباتِ، فِي الشَّجَر، فِي الزَّهر
(فِي كُلِّ الكائناتِ الحية غيْر النَّاطقةِ،
هُوَ عِبارةٌ عَنْ وَعْي، غيْرِ هذا الذي بِهِ يُصْنَعُ الوَعْي)،

/فِي الغَابَة الَّتي لَيْسَتْ أشْجاراً بَلْ غابةً،
مجموعُ أشجار بِلاَ كلٍّ/،
تَقيمُ حُوريّةٌ، هِيَ الحياةُ الخارجيّةُ التي،
مِنْ دَاخل، تمنح الأشجار الحياةَ،
والتي تَزْهِرُ مَعَ ازهِرَارِها
وتخضَرُّ مَعَ اخْضِرارِهَا.

تنفذ إلى الحيوانِ والْإنْسَان
تَحْيَا خَارِجيًا وَدَاخِلياً،
عبارة عَنْ دَاخِلِ عَبْرَ خَارِجٍ هِيَ،

وَهِيَ مَايُسمّيه الفلاسفة الرّوح
لكنّها لَيْسَتْ الرّوحَ : هِي نفس الحَيَوانِ
أوِ الْإنْسانِ عَلى النمط الّذي يُوجَدُ بـه.
وَأفكّر بِوُجودِ كائناتٍ
رُبّما يتطابَقُ فيها الشيئان
مُمْتَلِكَيْنَ الحجمَ نَفْسه.
وَهَذِهِ الكَائناتُ قَدْ تَكون هِيَ الآلهةَ،
وهيَ مَوْجودةٌ لأنّ الوُجُود كَذلك بالكامل يكونْ،
وهيَ لاتموتُ لأنَّها مُسَاوِيةٌ لِذَوَاتِها
وبَوُسْعِها الكَذب لأنها غير منْقَسِمةٍ
وهِيَ رُبّما لاتُحبّنا، ولا تُريدُنا، ولاتشْبِهُنَا
لأنَّ مَاهُو كَامِلٌ لَيْسَ مُحْتاجاً إلَى شيءٍ.

الحوريّةُ هِيَ رُبّما مسْتَقْبلُ الشجرةِ أو النّهرِ.

يَقولونَ فِي كلّ شيءٍ يُوجَدُ شيءٌ خفيٌّ.
أجَلْ، هُوَ الشيءُ ذاتـه، الشيءُ ذَاتـه بِدونِ أنْ يَكُونَ خفياً
هُوَ مَا يُوجَد في الشيء.

غَيْر أنَّني ـ أنا ـ بامْتِلاكي وَعْياً، أحاسِيسَ وأفكاراً
هَلْ سَأكُون مثْل الشيء؟
مَاذَا يُوجَد فيَّ أكْثر أو أقلّ؟
سأكُون طيِّباً وسعيداً لو كنت جَسَدي وَحْدَه،
لكنَّني شيءٌ آخر أيْضاً، لا أكْثر وَلاَ أقَلَّ منْ هذا
أيّ شيءٍ أنَا أكْثَرَ أوْ أقلّ؟

تَهُبُّ الريحُ بدون أنْ تَعْرِف أنَّها تَهبُّ،
النَّباتَ يَحْيَا بِدُون أنْ يعرف،
كذلك أنَا أحْيَا بدونِ أنْ أعرف ، لَكِنَّني أعْرِفُ أنَّني أحْيا.
لَكِنْ أو أعْرفُ أنَّني أحْيا، أمْ فَحَسْبُ أعْرفُ أنَّني أعْرف؟
أولَدُ، أحْيَا، أموتُ بِفِعْل قَدَرٍ لاَيَدَلِي فيهِ ؛
أحِسُّ، أفكِّر، أتحرَّكُ بقوةٍ خارجيَّةٍ عنِّي
منْ أكونُ أنَا إذن؟
أ أنا جَسَدٌ وَرُوحٌ؟ أ أنَا خارجُ بَاطِنٍ ما؟
أمْ أنَّ رَوحي هِيَ الوَعْيُ الذي تملِكُ،
هِيَ القوةُ الكونيةُ فِي جِسْمي منْ دَاخل، مختلفاً عن
الأجْسام الأخرى؟

أيْنَ أوجَدُ أنَا وَسَطَ هَذا كُلِّه؟!

جَسَدي مَيِّتٌ
دِمَاغي مُحطَّمٌ

فِي شيءٍ مَجرَّدٍ، لاشَخْصيٍّ، منْ غَيْرِ شَكْلٍ،
مَاعَادَ يَحِسُّ الأنَا الذي لديَّ،
مَاعَادَ يفكِّر بدمَاغِي الأفْكارَ التي أحِسُّ أنَّها أفكَاري،
لَمْ تَعُدْ إرَادَتي تُحرّكُ يديَّ الَّلتَيْن أحركهما.

أهكَذا سأنتهي؟ لا أدري
إنْ كَانَ عليَّ أن أنتهيَ هَكَذا، أنْ أحِسُّ بالحزن
لِنهايتي عَلَى هَذَا النَّحْوِ
فَلَنْ يُكْتَبَ الخلُودُ لي...

تَقولُ لي : أنْتَ أكْبَرُ منْ حَجَرٍ أو نَباتٍ
تَقولُ لي : أنت تَحِسُّ وتفكِّر وتعْرف
إذَن : أيَكْتُبُ الحجرُ قَصَائدَ؟
أيملكُ النباتُ أفْكاراً عن العالمِ؟

أجَل : يُوجد فَرْق
لكن لَيْسَ الفَرق الَّذي تَجِدُهُ أنتَ!
لأنَّ امْتِلاكَ الوَعْي لايُجْبرني عَلَى امْتلاكِ نظرياتٍ
عن الأشياءِ
يُجْبِرُني فَحَسْبُ عَلَى أنْ أكُون واعياً.

إنْ كُنْتُ أكثر منْ حَجرٍ أو نباتٍ. فَأنَا لا أعْرف.
أنَا مُخْتلِفٌ. لا أعْرف مَاهُوَ أكثر أو أقل...

هَلِ امْتِلاكُ الوَعْيِ أرْفَعُ من امتلاكِ اللون؟
مُمكنٌ وغير ممكنٍ فِي آنٍ
أعْرِفُ فَحَسْبُ أنَّ هَذَا مُخْتَلِف.
مَامنْ أحدٍ بقادِرٍ عَلَى البَرْهنةِ عَلَى أنَّه أكثر منْ مختلفٍ فحَسْبُ.

أعْرِفُ أنَّ الحجر وَاقعيٌّ، وأنَّ النباتَ مَوجودْ
أعْرِفُ هَذَا لأنهما مَوْجُودان.
أعْرِفُ لأنّ حَواسّي تُظهرُ ذَلكَ لِي.
وإنْ بِجَلاءٍ أقلَّ ممَّا تُظهرُ بِه لِي الحجر والنبات
لا أعْرِف أكثر.

أجَلْ، أنَا أكتُبُ شعراً، أما الحجَر فَلاَ
أنَا أمْلِكُ أفكاراً معيَّنةً عن العالم لايملكها النبات.
وَهَذا لأنَّ الحجر حَجرٌ، وَمَاهو بشاعر.
والنبات نَبَاتٌ وحسبُ، مَاهو بمفكّر.
أستطيعُ القول بسَبَبِ هَذَا أنّني أرْفَع من الحَجر والنباتِ
وأستطيعُ القَوْل بأنّني أدْنَى.
لكنّني لاَأقول هَذا : أقول عن الحجر : حَجَرٌ هو.. :
وعن النَّباتِ أقولُ : "نَباتٌ"
وأقول عنّي : "أنَا ذاتي"
ولا أزِيدُ ماذا يمكنُ أنْ يقَالَ زيادةً؟

وَاقِعُ الأشْياءِ المُدْهِش
هُوَ ما أكْتَشِفهُ كُلَّ يوم
كُلُّ شيءٍ هُوَ مَاهُو.
من الصَّعْب أنْ أفسِّر لأيٍّ كَانَ كَمْ يُغْبِطُني هَذَا،
وَكَمْ يكفيني.
حَسْبي أنْ أوجد لأحِسَّني كَاملاً.

كَتَبْتُ مايَكْفِي من القَصَائد.
وعليَّ، بالطَّبع، أنْ أكْتُبَ قَصَائدَ كثيرة أخرى.
كُلُّ قصيدةٍ لِي تَقولُ هَذَا.
وكُلُّ قَصَائدي مُخْتلفةٌ.
لأنّ كُلَّ مَاهُوَ مَوْجودٌ هُوَ طَريقةٌ لَقوْلِ هَذَا.

أحْياناً أتأمَّلُ حجراً
لا أفكّر فيما إذا كَانَ يَحِسُّ أمْ لا.
لا أخْطِئُ إذْ أدْعُوهُ أخِي،
يَروُقني لأنَّهُ لاَ يُحِسُّ بشيءٍ،
يَرُوقني لِعدم شَبَهه بِي.

أحْياناً أخْرى أصْغِي لِهبُوب الرِّيح،
فَيَبْدُو لِي أنَّ الحياةَ جَديرةٌ بأنْ تُعَاش
فقط منْ أجْل الإنصاتِ إلى هُبوب الرِّيح.

لا أعْرفُ بماذا سيُفكّرُ الآخرون عنْدما يقْرؤون هَذَا ؛
لَكِنَّه يَظْهَرُ لِي جيّداً لأنّني بدون جُهْدٍ أفكّرهُ،
بدُون أفكار أشْخاصٍ آخرين يَسْمعُونني أفكّره،
بدون أفْكارٍ أفكّرهُ مثْلما
تَقُولُه كَلماتِي أقولُه.

ذَاتَ مرَّةٍ أطْلقُوا عليَّ إسم : شاعر المادَّة،
واستغربت التسميّة ، لأنَّني لَمْ أتصوَّر
إمكانية أنْ أسمَّى بأيّ إسم.
أنا لَسْتُ حتَّى شاعراً : أنَا أرَى فحسب.
إنْ كان لما أكتبُ قيمةٌ، فَلَسْتُ أنَا مَنْ يَمْلِكُها ؛
القيمة موجودةٌ هناك، في أبْيَاتي،
وَهَذا كُلّه مُسْتَقِلٌ كُلّيةً عَنْ إرَادتي.

حينما سيُعَاوِدُ الرّبيعُ المجيءَ،
رُبَّما لَنْ أكُونَ مَوْجوداً فِي العالم.
سَيَطِيبُ لِي أنْ أتمكّنَ من الاعتقاد الآنَ أنَّ الرَّبيعَ
شَخْصٌ بِعيْنه حتّى أستطيع افتراض أنَّهُ سَيَبْكِي،
عندمَا يَرى أنَّهَ فَقَدَ صَديقَه الوَحيد.
غَيْر أنَّ الرَّبيع لَيْسَ حتَّى شيْئاً بعَيْنه ؛

هُو فقط طريقة للقول.
ولا حتَّى الزُّهور تَعُودُ ، أو الأوْراق الخضراء.

ثمَّةَ دائماً زهورٌ جديدة. أوْراقٌ خضراءُ جديدة.

ثمةَ أيّامٌ أخْرى عذبةٌ.

لاشيءَ يَعودُ، لاشيءَ يتكرَّرُ، لأنَّ الكُلَّ واقعيٌّ.

لو مُتُّ شاباً

بدونِ أنْ أتمكّن منْ نَشْرِ أي كتابٍ،

بدونِ أنْ أرَى الوَجْه الذي ستملكه أشْعَاري بحروفٍ مطبوعة

أدْعو، إنْ كَانتْ ستَحْزَنُ بِسببَي،

ألاَّ تحزن.

إنْ كَانَ الأمْر هَكَذا،

فَهو حَسَنٌ هَكَذا.

حتى ولَوْ لَمْ تطْبعْ أشْعَاري

فَسَيكُونُ لَهَا جَمالُها الخاصّ، إنْ كانتْ جميلة.

لَكِنْ من غير الممكن أنْ تَكُونَ جميلةً وتبقى غَيْر منشورةٍ،

لأنَّ الجذورَ يُمْكِنُ أنْ تَبْقىَ تحت الأرض

لكنَّ الأزهارَ تَزْهِرُ في الهَواءِ الطّلق مَدَّ النَّظرْ.

هَكذا عَلَيْها أنْ تَكُونَ بالقوَّةِ.

لاشيءِ بِوُسْعه الحَيْلولة دُون ذلك.

لَوْمُتُّ شاباً، فَلْتَنْصِتُوا إلى هذا

لَمْ أكُنِ البتّة إلاّ طفلاً يَلْهو،

وثنياً كنتُ كالشّمس والماءِ،

عَلَى دِين وثَنيٍّ وَحدَهمُ البَشرُ لايمْلكُونه.

سعيداً كنتَ لأنّني لَمْ أطْلبْ شيئاً،
وَلَمْ أسْعَ إلَى العُثورِ عَلَى شيء،
ولا اعْتَقَدْتَ بأنَّ ثمة تَفْسيراً عَدا
كون كَلمةِ تفسير خالية من أيِّ مَعْنى.
لَمْ أرْغبْ سِوَى في أنْ أكونَ تحتِ الشَّمسِ أو تَحْتَ المطر،
تَحْتَ الشَّمسِ وقتَ ظهورِ الشَّمسِ،
وتَحْتَ المطر وقْتَ هطول المطر

(ولَيْسَ أبداً بالعَكْسِ)،
أنْ أشْعر بالحرّ والبرْد والرّيح
وألاَّ أمْضِي إلَى مَاهو أبْعد.

ذاتَ مرَّةٍ أحْبَبْتَ، خِلْتَ أنّهم أحبّوني،
لكنَّني لَمْ أكن محبوباً.
لَمْ أكنْ مَحْبوباً للسَّبب الأكبر والأوحد:
مَاكَانَ يَنْبغي لِي أنْ أكون محْبوباً.

تَسَلّيْتَ بالعَوْدةِ إلى الشّمس والمَطَر،
وبالجُلوسِ مرّةً أخْرى بِبابِ البَيْت.
فالحقول، في النّهايةِ لَيْستْ
بأكثَر اخَضراراً لأعْين المحبوبين
مِمَّنْ لَيْسوا بمحبوبين.
أنْ تحِسَّ هوَ أنْ تَتَسلّى.

إنْ أنَا مُتّ، عِنْدَما يَأتي الرَّبيع،
سَتزهِرُ الوُرودُ عَلَى الشاكلةِ ذاتِها
والأشجارُ لَنْ تَكُونَ أقلَّ اخْضراراً ممَّا كانت في الربيع المَاضيْ
الواقع في غنى عَنّي.

أشْعر بِفَرحٍ عَارِمٍ حَالَما
أفكّر أنَّ مَوْتي لايمْلِكُ أيَّ أهميّةٍ.
لَوْ عَرَفْتَ أنني سأمُوت غداً
وأنَّ الرَّبيع سيجيءُ بَعْد غدٍ
لَمُتُّ مُطمْئنّاً، لأنَّ الرَّبيع غداً يجيءُ.
إنْ كَانَ ذَلكَ أوانَه، فَمتى ينبغي أن يجيءَ إنْ لَمْ يَكُنْ فِي أوَانه؟
يَرُوقني أنْ تَكُونَ الأشياءُ كُلُّها واقعيّة، وَفي مكانها.
يَرُوقُني لأنَّها كَذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ يَرُقني.
لذَلِكَ، لومُتُّ الآنَ ، مُغْتبطاً سَأموت
لأنَّ الكلَّ واقعيٌّ وفي مَكَانِهِ حَيْثُ هُوَ.

بِوُسْعِكُمْ الصَّلاة باللاتينيَّة عَلَى نَعْشِي، إنْ شِئْتم.
وإنْ شئْتم، لَكُمْ أنْ تَرْقُصوا وتغَنّوا حَوَالَيْه.
لاَأمْلكُ أيَّ أفضليَّةٍ طَالَما لَمْ يَعُدْ باستطاعتي
امْتِلاَكُ أفضليَّاتٍ.
سَيَكُونُ مَالاَبُدَّ أنْ يكون.
لَوْ شَاؤوا بَعْد مَوْتي، كتابةَ سيرَتي،
فَلَيْسَ ثَمَّةَ مَاهُو أسْهَل،

لِسيرتي تَاريخان فَحَسْبُ : يَوْمُ ميلادي وَيَومُ وَفاتي
مَابَيْنَهُما منْ أيَّام كُلِّها أيّامي.

سَهْلٌ تَعْريفي :
مِثْل مَلْعُونٍ رَأَيْتُ مَارَأَيْتُ.
بدُونِ عاطفيّةٍ أحْبَبْتُ الأشْياء.
لَمْ أمْتَلِكْ أيَّ رغبةٍ غَيْرِ قَابلةٍ للإنجاز،
لأنَّني لَمْ أتَعَامَ قطّ.
حتّى السَّمْع لَمْ يَكُنْ أبداً عِنْدِي سِوَى مُكَمِّلٍ للبصر.
أدْرَكتُ أنَّ الأشياءَ واقعيّةٌ ومختلفةٌ الواحدةُ عن الأخرى ؛
أدْرَكْتُ هَذَا بالعَيْنيْن، وَلَيْسَ أبَداً بالفكْر.
إدْراك الأشياءِ بالفكر مَعْناه الاعتقادُ بأنَّها متساوية.

ذَاتَ يَوْمٍ أدْرَكني النَّوم كَأيِّ طفل
أغْمضْتُ العَيْنَين وَنمتُ
عَدَا هَذا، كُنْتُ شَاعرَ الطبيعةِ الأوْحد.

لا أعْرف البتّةَ كيف بِوُسْع مَشْهدِ المَسَاءِ أنْ يَبْدُو حزيناً.
فقط لأنَّه ليس صَباحاً.
لَكِنْ إذا كَانَ المساءُ مساءً، فكيف لَهُ أنْ يكون صباحاً،

مَامِنْ يَوْمٍ مُمْطرٍ إلاَّ وَهو جميل كَأيِّ يوم مُشْمس.
كِلاهما مَوْجودٌ ؛كلٌّ بِمَا هُو إيَّاه.

عِنْدما يَنْمو العُشبُ عَلَى قبري
سيكون ذلك عَلامة نسيانهم بالكامل لِي.
فالطبيعة، لاتتذكَّر أبداً، وَلِذَلكَ هِيَ جميلة.
إذَا كَانتْ بِهِمْ حاجةٌ مَرَضيّة إلى تفسير العشب
الأخضر عَلَى قَبْري،
فَلْيَقولوا إنَّه يُواصِلُ اخْضِرارَهُ بشكْل طبيعي.

إنَّهُ اللَّيْلُ، الليل الحالك، في مَنْزِلٍ يَقَع
عَلَى مَسَافةٍ بعيدةٍ يَسْطَعُ ضَوْءُ نَافِذةٍ.
أبْصِرُ الضَّوْءَ فأحِسّ بِي إنْساناً منْ أخمص قَدَميَّ إلَى رَأسِي.
عَجِيبٌ أنْ تجذبني حَياةُ الشخص الذي يعيشُ هُنَالِك،
والَّذي لاَ أعْرفُ منْ يَكون،
فقط منْ خلال ذلك الضَّوْء المرئيّ منْ بعيد.
لاَشكَّ أنَّ حَيَاتَهُ واقعيّةٌ لَهَا وَجْهٌ، حركات، وَأسْرَة ومهْنة.
لَكِنْ وَحدَهُ ضَوْءُ نَافذتِه يهمُّني الآن.
وَمَعَ أنَّ الضَّوْء يُوجد بعيداً هُنَالِك لأنَّه هُوَ من أشْعله،
فهُو بالذاتِ الواقِعُ الموجودُ قُبَالتي.
أنَا لا أمْضي أبداً أبْعَد من الوَاقع المباشر
فيما وَرَاء الواقع المباشر لايُوجد شيءٌ.

إذا كُنْتُ، منْ حَيْثُ أوجَد، أرى فَحسْبُ ذلك الضّوء
فلأنَّهُ، بالنَّظر إلى المسافةِ التي أرَاها منْهُ، هُوَ وحده الموجود.
الرَّجل وأسْرَته واقعيَّان من الجَانِب الآخر للنافذة.

أنَا مَوْجُود في الجانب الّذي هُنا، عَلَى مَسَافَةٍ بعيدة.
لَقَدْ أطْفِئَ الضوءُ.

فيمَ يهمّني أنْ يواصِلَ الرَّجلُ الوُجودَ؟
هُوَ وَحْدَهُ منْ يُواصل الوجود.

جميعُ النظريَّات، جميعُ القَصائد
أطْولُ عمْراً مِنْ هَذِه الزَّهرة
لكنْ شأنها شأنُ الضّباب، رَطْبٌ ومنَفِّر.
وأكبر منْ هذِه الزهرة...
الحَجْمُ، المدَّة لاَيَمْلِكان أيَّ أهميةٍ...
هُمَا حَجْمٌ وَمُدَّةٌ وَحَسْب...
مَايهمُّ هُوَ الزَّهرة التي لَهَا حجم وَمُدَّة مُعَيّنَان...
(إذاَ كَانَ **الواقع بُعْداً** (1) حقيقيّاً)
كَوْنُ الشَّيْءِ وَاقِعياً هُوَ الحقيقة الوَحيدَة لِلْعَالم.

هُنالِكَ وَرَاءَ مُنْعرج الطريق
تُوجَد بئرٌ رُبَّما، أوْ قَصْرٌ،
أو رُبَّما الطَّريق المُتَّصِلُ وَحْدَهُ.
لا أعْرِفُ وَلاَ أسْألُ.
فيما أسيرُ عَبْرَ الطَّريق قَبْلَ المُنْعَرج
أنْظر فَحَسْبُ إلَى الطَّريق قبْلَ المنْعَرج،

Dimension (1)

إذْ لَيْسَ بِوِسْعِي النَّظر إلى أبْعدَ من الطَّريقِ قَبْلَ المْنعَرج.
لَنْ يُفيدني فِي شيءٍ نَظَري إلى جهاتٍ لاَأَراها.
لِنهْتمَّ وَحَسْبُ بالمكانِ الذي نَحْنُ فيه.
ثمّة مايكفي من الجمالِ فِي وُجودِنا هُنَا لافي مَكَانٍ آخر.
إنْ وُجد آخرون فيما وَرَاء منعَرج الطَّريق،
فلْينْشَغلوا بِما يُوجد فِيما وَرَاء منعَرج الطَّريق،
ذَلكَ هُو طَّريقهم.
إنْ كَانَ عَلَيْنَا أنْ نَصِلَ إلَى هُناكَ، سَنَعْرِف ذَلكَ عنْدما نَصِل.
الآنَ نَعْرِف فَحَسْبُ أنَّنا لَسْنَا هُناكَ.
هُنا يُوجد وَحْده الطَّريقُ قَبْلِ المنعرج. أمَّا قَبْل المنعَرج
فَيُوجد الطَّريقُ بدُون مُنعَرج.

أرْتمي بالطُّول عَلَى الأرْض المُعْشبة
وأنْسَى كلَّ مَا عَلَّمونيه.
ما عَلَّمونيه لَمْ يَمْنَحْني مزيداً منْ حَرارةٍ ولابُرُودة،
مَا حَدَّثوني عَنْ وُجوده لَمْ يُغيّر بَتَاتاً
شَكْلَ الأشياء.
ماتَعلَّمْتَ رُؤْيتَهُ لَمْ يمسَّ عينيَّ قطّ.
مَا أظْهرُوهُ لِي لَمْ يَكُنْ أبَداً مَوْجُوداً هُنَالك:
هناك كَانَ فَحَسْبُ مَا كَانَ هُناكَ.

اليَوْمَ قَرأتُ، سَانْ فرنسيسْكُو أسيس،
لَقَدْ قَرؤوه لِي فَأدْهَشني

كَيْفَ أنّ رجلاً أحبّ الأشْيَاءَ كثيراً
لَمْ يَنْظر إليها أبداً . لَمْ يعْرف مَاهي؟

لَماذا عليّ أنْ أدْعو الماء أخِي. إنْ لم يكُن حقّاً أخي؟
أمنْ أجْلِ أنْ أحِسّهُ عَلَى نَحْوِ أفْضَل؟
أنَا أحِسّه شَارِباً إيّاه بَدَلاً منْ أنْ أدْعوه
أخَا أو أباً، أو إبْناً.
الماء هُوَ الماءُ وَهُوَ جميلٌ لذلك.
حينَما أدْعوه أخِي أراهُ عَلَى غَيْرِ مَاهُو عليه،
ومَادَامَ المَاءُ ماءً من الأفضل أنْ أدْعُوَهُ مَاءً!
بَلْ من الأفضل ألاّ أسميّه بأيّ إسم.
أنّ أشْربه وأحِسّ به فِي النّبْض وأنْ أراه فقط
لاَغَيْر.
دائماً أخونُ الشّيء عِنْدَما أفكّر فيه.
عليّ أنْ أفكّر فيهِ فَحَسْبُ عنْدَمَا يَكُون أمَامي.
لامُفكّراً ، وإنّما ناظراً
لَيْسَ بالتفكير، ولكنْ بالعَيْنين.

أنظر، الأشياء موجودةٌ
وَحْدي أفكّر وَأحِسّ.

تقبّلِ الكَوْنَ
كَمَا أعْطتْكَهُ الآلهة.

لَوْ شَاءتْ إعْطَاءكَ كَوْناً آخر
لَكَانَتْ أعْطَتْكَهُ.

إنْ كَانَ ثَمَّة وُجودٌ لِمادَّاتٍ وَعَوالم أخْرى
فَلْيَكُنْ.

منْ بعيدٍ أرى سَفينةً تَعْبر النَّهْر...
لاَ مُباليةً تَمْضي عَبْرَ التاج من تحت...
لامباليةٌ ليس بِسَبَبِ عَدَمِ اهتمامها بي.
أنَا لَسْتُ مُكْتئِباً لِهذاً..
إنَّها لامُباليةٌ لخُلوِّها منْ أيِّ مَعْنَى خَارجيِّ
بالنِّسبةِ إلَى وُجُودها المُنفَصل
كسفينةٍ تَعْبر النَّهْر بِدُونِ إذْنِ من الميتافيزيقا...
مَعَ النَّهْرِ حتَّى وَاقع البَحْر.
يَهْبِطُ اللَّيْلُ، يَخِفُّ الحرُّ قَليلاً. أنَا
مُتَألِّقُ الذِّهْنِ كَمَا لَوْ لَمْ يَحْدُثْ لِي أنْ فَكَّرتُ قطُّ
وَلَمْ تَكُنْ لِي جُذُورٌ واتِّصالٌ مبَاشرٌ بالأرْض،
لا اتِّصال الحاسَّة المُسمَّاة رؤْيةً،
تِلْكَ الرِّؤية التي بهَا أنْفَصلُ عَنِ الأشياء،
فأقْتَربُ مِنَ النجوم وَمِن أشياء بعيدة:
إذْ ثَمَّة خطأٌ: البعيدُ لَيْس هُوَ القَريب.
تَقْرِيب البعيد انْخِدَاعٌ.

مَريضٌ أنَا . أفكَاري بَدَأ يَعْتَريها الالْتِباس
وَلكنَّ جَسَدِي إذْ يُلاَمِسَ الأشياء ينفذُ إليْهَا.
أحِسُّني ، باللّمْس، جَزْءً من الأشياء.
وثمّة انْعتاق هَائلٌ يشْرَعُ فِي الإحْسَاسِ بذاته فيَّ
ثمَّة غِبْطةٌ كُبْرى مَهيبةٌ مثْل عَمَلٍ بُطوليّ.
/وَاضِعاً القوّة فِي الإيمَاءة المُتّزنةِ والمخْفَاة/

أتقبّلُ مَشَاقَّ الحياةِ لأنَّها قَدَرٌ لامَنَاصَّ منْه،
مِثْلَمَا أتقبّلُ البَرْدَ المفرطَ فِي عزّ الشّتاء
بهُدوءٍ بِدُونِ شكْوى، بِبَساطةٍ أتقبّلُه،
كَمَنْ يَجِدُ مسرَّةً فِي فِعْل تقبله.
فِي الفِعْل الشّاقّ والعِلْميّ والسّامي لِتَقّبل
مَاهو طبيعيٌّ مَحْتوم.

مَا الأمْراضُ الّتي أعَانيها والأذَى الّذي يُصيبني
غَيْرُ شتاءِ ذَاتِي وَحيَاتي؟
الشّتاء المختّلّ الذي أجْهلُ قَوَانين حُدوثه،
لكنَّهُ يَحْدُثُ بِموجب نَفْسِ الحتميّةِ السّامية،
نَفْس البرّانية المحْتومَية واللاّذاتيّة.

حَرارةُ الأرض فِي عزّ الصيف تأتي.
وَبَرْدُها فِي أوْج الشّتاء.
أنَا كشخصٍ أتقبّل هذا.

وُلِدْتَ عُرضةً للأخطاء والعُيُوب كالآخرين،
لكنْ لَيسَ عُرضةً أبداً لخطإِ الرغبة فِي الفَهْمِ المفرط،
ولالخطإِ الرغبة فِي الفهم فحسبُ بِواسطة الذَّكاء،
وَلاَ لِنَقيصةِ أنْ أطْلُبَ من العَالَم أنْ يَكُونَ
شيئاً آخر غَيْرَ مَاهو.
أنْ أكُونَ وَاقِعيًا هُو ألاَّ أكُونَ دَاخل ذاتِي
عن الشَّخْص الذي بداخلي لَيْسَ لَدَيَّ أيّ تصوّر واقعيّ.
أعْرِفُ أنَّ العَالَمَ مَوْجُودٌ لَكِنْ لا أعْرِف إنَّ كُنْتَ مَوْجُوداً.
يقيني بِوُجُود دَارتي البيْضاء
أكْبر من يقيني بالوجود الجوّانِي لِصَاحِب الدَّارةِ البيضاء،
أوْمِنْ بِجَسَدِي أكثر مِمَّا أوْمِنْ بِرُوحي.
لأنَّ جَسَدِي مَوْجُودٌ في قَلْبِ الوَاقِع،
بِوُسْعِ آخرين أنْ يَرَوْه،
أنْ يلمسُوهُ،
وبِوُسْعِه أنْ يَنْهَض وأنْ يَقْعدْ،
لكنَّ رُوحي لايمكِنُ أنْ تكونَ معرّفةً إلاَّ بحدودٍ خارجيّةٍ.
هِيَ مَوْجُودة فقط ـ فِي اللّحظات التي أومنَ فيها بأنَّها مَوْجُودة فعلا ـ
بالارْتهان إلَى الواقع الخارجيّ لِلعَالم.

لَوِ الرّوح أكْثر واقعيّةً
منَ العَالم الخارجي ، كما تَقول أنتَ، أيّها الفيلسوف،
فَلماذا وُهِبَ العَالَمُ الخارجي لي
كَنموذج للواقع؟

إن كَان إحْساسي
أكثر يقينيّة منْ وُجودِ الشّيء الّذي أحِسّ
فَلماذا أحِسّ إذن؟
وَلماذا يظهر ذَلكَ الشيءُ، مُستقلاً عنّي،
بِدُون أنْ يَحْتَاج إليّ لِيكون مَوْجوداً.
وَلماذا أنا دَائماً مَضْمومٌ إلى ذاتي، دائماً شخصيّ وغير قابلٍ للتّحويل؟
لماذا أتحرّك مَعَ الآخرين
فِي عَالَم نتفَاهَمُ فيه ونتَوافق،
إنْ كان هَذا العَالَمُ هُوَ الخطأ رُبّما وَأنا الصّواب؟
إنْ كَانَ خطأ ، فَهو خَطَأ الجميع.
وَكلّ وَاحدٍ هُوَ فَحَسْبُ خطأ كلّ وَاحدٍ منّا.
شيءٌ بشيءٍ إذن هَكَذا يَصيرُ العَالَمُ أكثر حقيقيّة
لَكِنْ لِمَاذا أسَأل ، إنْ لَمْ يَكنْ لأنّني مَريضٌ؟

فِي الأيّام الحقيقية، في الأيّام الخَارجيّة لِحياتي،
فِي الأيّام ذات الصّفاء التّامّ والطبيعيّ،
أحسّ بِدون إحْسَاسٍ بأنّني أحسّ.
وَأرَى بِدون أنْ أدْريَ بأنّني أرَى
حَينئذٍ يَصيرُ الكونُ وَاقعياً كما لَمْ يَكنْ منْ قَبْل،
ويصيرُ (لاقريباً أوْ بعيداً عنّي)
لاَمُنْتَمياً إليّ بِخَفَاءٍ عَلَى نَحْوٍ لَمْ يَكُنْهُ منْ قبل.

عندما أقول (عن الشيء) (1) أنَّه واضحٌ هَلْ أعني مُصادفةً
أنَّني وَحْدي الذي أرَاه"؟
عنْدما أقول "إنه صَحيحٌ"، هَلْ أقْصِد القَوْل : «أنَّه رَأيِي»؟
عنْدما أقول : إنَّهُ هناك»، هَلْ مَعْناه أنَّني أقصد : «ليس هناك؟.
إنْ كان الأمْر هكذا فِي الحياة فلماذا يَجِبُ أنْ يَكُونَ
مُخْتَلِفاً فِي الفلسفة؟
نَحْن نَحْيا قبْل أنْ نَتَفَلْسَف. نُوجَدُ قَبْلَ أنْ نَعْرِف.
فالفعل الأوَّلُ جَديرٌ بالأولويّةِ والعِبَادة.

أجَلْ، بَرَّانيّون نَحْن قَبْلَ أنْ نَكونَ جَوَّانيين
لذلك نَحْن جَوْهريّاً عبارة عَنْ خَارج.
تَقولُ أيها الفَيْلَسوفُ المريضُ. أيّها الفَيْلَسوفُ فِي النهاية،
هَذِهِ أفْكارٌ مَاديّةٌ.
لَكِنْ كيف لَهَا أنْ تكونَ ماديَّةٌ. والحالُ أنَّ الماديَّةَ فَلْسَفةٌ.
وَعَلَيْها لِتَكُونَ فَلْسفةٌ، أنْ تَكونَ فَلْسَفتِي بالأقَلِّ.
بَيْنَما هَذَا ـ الذي أقولُ ـ لَيْس يَخصّني بالكَادِ وَلاَ هُوَ ذَاتِي؟
يَهمّني قَليلاً.
يَهمّني قَليلاً. ماذا؟ لا أدْري. لاشيْءَ يَهمّني.

جميعُ الآرَاء الموجودةِ عَن **الطبيعة**
لَمْ تُساعِدْ قطّ عَلى نَمُوّ عُشب أوْ ولادة زَهرة.
كلُّ الحِكمةِ المتعلِّقةِ بالأشْياء

---

(1) للزيادة بقصد التوضيح (المترجم ....)

لَمْ تَكُنْ البتَّة شيئاً يُمْكِنُ تَنَاوُله مِثْلَما الأشياء.
إنْ أرَادَ العِلْمُ أنْ يَكُونَ حَقِيقيّاً
فَأيّ عِلْمٍ أكثر حقيقيّةً منْ عِلْمِ الأشيَاءِ بَلاَعِلْم؟
عَيْنَايَ أغْمَضْتُهمَا فِيما الأرْضُ الصّلبَة التي أسْتَلقي عَلَيها
تَمْلِكُ من الواقعيّةِ مَا يَجْعَلُ ظَهْرِي يُحِسُّها.
طَالَما لديَّ ذِرَاعان لَسْتُ بحاجةٍ إلَى المنطق.

شيئاً فشيئاً يَتّسِعُ الحَقْلُ ويتذَهَّبُ
الصَّباحُ يَتَبدَّدُ عَبْرَ تنوّعَاتِ السَّهْل.
المَشْهَدُ الَّذي أرَاهُ لاَ أنْتَمي إلَيْه : أرَاه.
هُوَ خَارجيٌّ بالنِّسبةِ إليَّ. مَامِنْ إحْسَاسٍ يَرْبُطني به،
وَذَلكَ هُوَ الإحْسَاسُ الذي يَرْبُطني بالصَّبَاحِ الذي يطلع.

ياآخر نجمةٍ تختفي قَبْلَ بزوغِ النهار،
فِي زُرْقَتِكِ المرتعشةِ البَيْضاء أحَطُّ عينيَّ الهَادِئتَيْن،
فَأرَاكِ مُسْتقلَّةً عنّي،
فَرِحاً بامْتِلاكي أفْضَليّةَ القُدْرةِ عَلَى رُؤْيَتك،
بِدُونِ أيّ «وَضْعٍ رُوحي» عَدَا رُؤْيَتك.
جَمَالُكِ بالنسبةِ إليَّ مُتَجَسّدٌ فِي أنّكِ مَوْجودة.
عظمتُكِ مَاثِلةٌ فِي كَوْنِكِ تُوجَدينَ كليّةً خَارجَ ذاتي.

أيُّ جديدٍ فِي هَذا؟ قَالَ الّذي سَمِعَ أشْعَاري؟
الجميعُ يَعْرِف أنَّ الزهرةَ زَهرة والشجرةَ شجرة.

لَكِنَّني أجَبْتَ. لا لَيْس الجميع، بلْ لاأحَد.
لأنَّ الجميع يَحبُّ الأزْهارَ لأنَّها جميلةٌ، وَأنَا مختلف.
الجميع يُحبُّ الأشجار لأنَّها خضراءَ وظَليلةٌ أمَا أنَا فلاَ.
أنَا أحبُّ الأزْهار لأنَّها أزْهار، مباشرةً.
أنَا أحبُّ الاشجارَ لأنَّها أشجارٌ بِدُون أنْ أفكِّر.

أسْتَمِتعُ بالحقول بِدُون تَحْديقٍ فيها.
لِمَاذَا أستمتع بها؟ تَسْألني.
لأنَّني أسْتَمِتعُ بها. أجيبُ.
أنْ نسْتَمتعَ بِزَهرةٍ هُوَ أنْ نَكونِ أمَامَها بكل وَعْينَا.
وأنْ نَمْلِك تصوراً عَنْ عِطْرِها فِي أكْثر أفكارِنا انطفَاءاً.
عِنْدَمَا أحَدِّقُ لا أستمتع : أرَى
أغْمِضَ العَيْنَين، فيما جَسَدي بَيْن الأعْشاب،
يَنْتمي تَماماً إلَى خَارجيَّةِ مَنْ يَغمِضُ العَيْنين،
إلَى الصَّلابةِ الرَّطبةِ للأرْض العَطرةِ المختلَّة :
وثمَّةَ بعضٌ منْ ضجَّةٍ مُلتبسة للأشياء الموجودة.
ثمة فحسبُ ظِلُّ مُجسَّدٌ منْ ضَوْءٍ يغيِّمُ
مِحْجَري،
ثَمَّةَ فحسبُ بقيَّةٌ منْ حَياةٍ تَرِنُّ.

لَسْتُ عَلَى عَجلةٍ. عَلَى عَجَلةٍ مِمَّ؟
الشَّمْسُ والقَمَرَ وَاثقان : لَيْسَا متعجِّلَيْن.
أنْ أكون عَلَى عَجَلةٍ هو أنْ أحْسِب النَّاس

يَمرّون جَنْبَ قَدَميَّ،

أوْ يَقْفِزونَ واثبينَ فَوْقَ الظلّ.

كلاَّ : لا أعْرف العَجَلة.

إنْ مَدَدْتَ الذّرَاعَ، وَصَلْتَ بالضَّبْطِ إلى حَيْثُ يَصِل ذِرَاعي،

بِدون سَنْتمتر وَاحدٍ زِيادة.

أنَا ألمس فقط ما ألْمسه، لا ألْمس ما أفكّر فيهِ.

فقط بإمكاني الجُلوس حَيْثُ أوجد.

وَهَذا كُلّه يَدْفَعُ إلَى الضَّحِك مِثْل كَلّ الحقائق الحقيقيّةِ بشكل مطلق،

لَكِنْ مايدْفَعُ إلى الضَّحِك بجِديَّةٍ هُوَ أنَّنَا

نُفكّر دَائماً فِي شيْءٍ آخر.

وَنَحْيَا فِي عَطالةٍ عَنْ وَاقِعنا.

خَارِجَهُ نوجَدُ دَائِماً لَأنَّنَا هُنَا مَوْجودونَ.

أجَلْ : أوجَد دَاخِل جَسَدي.

لاَ أحْمِلُ الشَّمْسَ ولا القَمَر فِي الجيب.

لا أرِيدُ فَتْحَ عَوَالِمَ جديدةٍ لأنَّني لَمْ أنَمْ جيّداً.

وبِسَبَبِ المعدةِ لاَ أرِيدُ أنْ تكونَ الأرْضُ وَجْبَةَ غَذائِي.

غَيْرُ مُبالٍ بشيءٍ؟

كَلاَّ : طبيعيٌّ أنَا منْ هَذهِ الأرْض، بِحَيْثُ لَوْ قُمْتَ بوثبة

لَوَجَدْتَني فِي الفراغ،

لَوَجَدْتَني لحظةً في الهواء الذي لَمْ يَوجَدْ منْ أجْلِنا،

لذلكَ أرْتاحُ فحسبُ عندما تطأ قَدَمايَ الأرْض منْ جديد.

عِشْ فِي الحَاضِر ، تَقول :

عِشْ وَحَسْبُ في الحَاضِر.
لكنِّي لاَ أريد الحَاضِر، أريدُ الوَاقع ؛
أريدُ الأشياءَ الموجودة، لا الزَّمن الذي توجَد فيه

مَاهُو الحَاضِر؟
هُو شيءٌ مُتعلِّقٌ بالماضي وبالمسْتَقْبَل.
هُو شيءٌ وجودُه مُتعلِّق بوُجود أشياءَ أخرى.
أنَا أريد الواقع وَحْدَهُ، أريد الأشياءَ بِدون حَاضِر

لاأريدُ أنْ يَتدخَّلَ الزَّمن فِي وُجودي.

لاأريدُ التَّفكير فِي الأشياء كَأشياءَ حَاضِرة،
لاأريدُ التَّفكير فِيها كَأشياءَ
لاأريدُ فَصْلَها عنْ ذَوَاتِها مُعَامِلاً إيَّاها كأشْخَاص.
وَلاَ حتَّى كَأشياءَ واقعيّة.
لاينبغي أنْ أتعَامَلَ معها كَلاَ شيء.

ينْبغي أنْ أرَاها، أنْ أرَاها وحسب.
أنْ أرَاها حتَّى أفْقَد القُدْرَةَ عَلَى التَّفكير فيها،
أنْ أرَاها مجرَّدةً من الزَّمن والمَكَان...
أنْ أرَاها صَارِفاً الرؤيةَ عَن كُلِّ مَا سِوَاها.
هَذَا هُوَ عِلْمُ الرُّؤية، الذي مَاهُو بِعِلْم.

إعْلانْ أوّلْ بِعَاصفـةِ مَابَعْد غد.
الغيوم الأولَى البيضاء خفيفـةً تحْمِل وَعيدَها في السماء الشّاحبة.
عاصفةٌ مابَعْدَ غدٍ؟!
مُتَيَقّنٌ أنَا، لكنَّ اليقـينَ أكْذوبة.
أنْ أكونَ مُتيقّنا مَعْناهُ أنَّني لاَ أرى.
بَعْدَ غَدٍ لا وُجودَ له.
مَاهو موجودٌ فِعْلاً هُو هَذَا :
سَمَاءٌ زَرْقاء، مُعْتكرةٌ قَليلاً، بَضْعُ غيوم بيضاء
فِي الأفق.
مَعَ لطخةٍ ملوّثة فِي الأسْفل كما لو كانت ستَصير سَوْداء منْ بَعْد
هَذَا مايُوجَدُ اليوم،
ولانَّ كلَّ مايُوجَدُ اليوم هُو هذا، فَهُو إذن كلُّ مَاهو موجُود.
مَاذَا لومُتُّ بَعْد غدٍ؟

لو قـدّر لِي أنْ أموتَ بَعْد غدٍ فَستَكون
عَاصفةُ مَابَعْد غدٍ عاصفـةً أخرى مختلفـةً
عمّا ستَكونـه لَوْ لَمْ يقـدّرْ لِي أنْ أموتَ بَعْد غدٍ .
أعْرفُ أنَّ العاصِفَةَ لاتَهْبط منْ رؤيتي،
لَكِنْ إذَا لَمْ أكُنْ مَوْجوداً فِي العالَم، فَسَيَكون العَالَم
مُخْتَلِفاً ـ سَأكون أنا وَاحداً أقلَّ ـ
والعاصِفَةُ سَتهُبُّ فِي عالَمٍ مختلف
ولَنْ تَكون نَفْسَ العاصِفَة.
كَائنًا مَاكَانَ الأمْر، تِلْكَ الّتي سَتهُبُّ هِي التي ستهُبُّ
عنْدمَا تهُبُّ.

أرْخَى الثَّلْجَ شَرْشَفاً صَامِتاً عَلى مَائدةِ الأشْيَاءِ كُلْها.

مَامِنْ إحْساسٍ سِوَى بِما يَحْدُث دَاخِلِ المنْزِل.

أتَذَ ثِّرْ بغطاءٍ بدَون أنْ أفكِّر ولا حتَّى فِي التفكير نَفْسه.

أشْعُر بغبطةِ حيوانٍ وشَارِداً أفكِّرَ

ثمَّ أنَامُ نَوْما لَيْس أقلَّ نَفْعاً من جميع الأفْعال فِي العالم.

القصيدة
قبل
الأخيرة

كَذٰلك أعْرِفُ كيفَ أتكهّن.

فِي كلّ شيءٍ يُوجَد ذٰلكَ الذي هُو الشيء، هُو محرّكه.

خَارِجيٌّ هُوَ في النَّبات. يَرقَانَةٌ صغيرة.

وفي الحيوان هو كَائنٌ باطنيٌّ سحيق.

فِي الإنسان هُو الروح التي هي ذَاته ومَعَه تَحْيا.

وَهُو يَمْلك نفس الحَجْم عِنْد الآلهة

ويَشْغَل نَفْسَ الحيِّز الذي يَشْغَلُه الجِسْمُ

فَهُو والجِسْم شيءٌ وَاحِدٌ.

لِذٰلكَ يُقال أنّ الآلهة لاتموت.

لِذٰلك لاتملك الآلهة جِسماً وَرُوحاً

بل جِسماً وحسب ولذلك هِي كاملة

أجْسامُها هِيَ أرْواحُها

والوعي لَدَيها مَوْجُود فِي نَفْسِ اللّحْم الإلاهي.

LAST POEM

(أملاَها الشَّاعِر يَوْمَ وفاته)

لَكَأنَّه آخِر يَوْم فِي حَيَاتي.
حَيَّيْتَ الشَّمْس، رَافِعاً يَدِيَ اليَمْنَى،
لَكِنْ لَمْ أحَيِّهَا لأقولَ لها وَدَاعاً،
أوْمَأتَ فَحَسْب إلَى أنَّني مَازِلْتَ أرغب
فِي رُؤْيتها.

---

(1) هكذا وردت بالانجليزية في الأصل

فهرس



أعمال شعرية

1
راعي القطيع
ألبرطو كاييرو

2
أناشيد
ريكاردو رييس

3
نشيد بحري وقصائد أخرى
ألبارو دي كامبوس

4
الأغاني وقصائد أخرى
فرناندو بيسوا

35 درهما